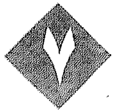
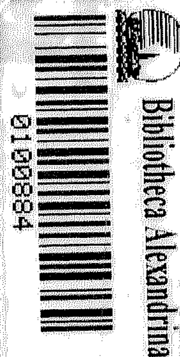
عباس محمود العقاد





ديوان أعاصير مغرب





نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

عباس محمود العقاد

أعاصير مغرب



اسم الكتاب: أعاصير مغرب
اسم المؤلف: عباس محمود العقاد
تاريخ النشر: يناير ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٩٩٦/١٣٩٧٨
الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0536 -5
تصميم الغلاف: م / محمد العنتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ / ٠٢
ص. ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٠٢
ص. ب: ٢٠ امبابة

الإهـداء

إيه يا من أَوحت الشعر وخانت شاعرَهْ
لك أُهديه لِوَحيك

* * *

إيه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكرَهْ
لك أُهديه لرعيك

* * *

هكذا أَبرأُ فى الحالين من حمد خيانة
وأَصون العهد ممن رام شعرى بصيانة
وأُدارى حيرتى خافيةً أَو ظاهرة !

* * *

المقدمة
فى اسم الديوان

شاعرٌ نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به ونستطيب الكلام والصمت معه .

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به ونحب القراءة فيه .

وبين الشاعرين فارق . فما هو ؟ أيكون الأول أصدق فى الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى الأسلوب ؟

قد يكون كذلك .

ولكنه كذلك قد لا يكون .

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه لا يلزم أن يكون خيرًا من الغريب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه . فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقًا وأجمل سمتًا وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلينا أنه يشاركنا فى الشعور ويعيش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعينها هى مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة . فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن لم يكن كذلك واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء

آخرين لا يبثون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق نفاذ . أما الشاعر الذى نقرؤه ولا نصادقه فقد يجيد ويَفْضُل غيره فى الإجادة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوروبية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين والمعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«أنظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه : أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول !

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وإننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو **«أعاصير مغرب»** ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب ، اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . . لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

ورأيى فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد «وحى الأربعين» . . . بل أُعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى[1] وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلىّ اليوم اسم ديوانى الجديد . فأثنيت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : «إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحيانًا . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولا رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء

---

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨ .

الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلا جيدا بعد السبعين؟ ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لابد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . .» .

ثم قلت : «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب - ولا مثلٌ غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها - فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب ؟ أما نحن فنقول : لا ؛ لأن الحب شىء والغزل شىء غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه» .

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما لاينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فإن هذه لاتسمى حبّاً ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة .

«ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معًا بعلاقة لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه .

فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لا فى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا : إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول : إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء .

«إن الذين يقتلون أنفسهم حبّاً من غير الشعراء الغزليين أكثر جدّاً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أُولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينهما فى العلو والهبوط» .

« . . . والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصًا من حبه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه» .

«والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهمٌ بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف

مـواضع الكشف والحـجـاب من القلوب ؟ وقـبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كـيف يعـرف المرأة ؟ بل قـبل أن يزاول الحـيـاة كـيف يزاول لبـاب العاطفة التى تنضجها الحياة ؟» .

«فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كـمـا أن الحب قـد يلهب الاحـتـدام فـيـمن لم يكن يعانيه» .

« . . . فللشبـاب حبه ، وللرجولة حبهـا ، وللكهـولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين» .

« . . . وإذا تقـضى الشبـاب وتقـضت بعـده الرجـولة وتقـضت بعدهما الكهولة فهل تنفد مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكار وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفد وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعـراء الذين عـالجوا النظم فى خوالج النفوس شيوخًا وشبانًا لعلمنا منهم أن خير ما نظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة ثائرة أيّاً كـان فـحواها إنما كان كله من قـبـيل الحنين والتذكار . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعـة العـارضـة ، فـيـسلس لهم المعنى ويصـفـو الشـعـور من كـدر الدخان والضرام» .

« . . . فلا عـجـب أن يجـيـد هاردى الـغزل أو يجـيـده سـواه من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقـرائح . وقد يحسن أن نذكـر بعد هذا أن إجادة هاردى فى الغزل لم تكـن إجادة مطلقة يطمع فـيـهـا

كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقرية ، ولكنها كانت إجادة هاردية عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التى لم تفارقه فى شباب أو شيخوخة» .

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شىء يخالف ما بدا لى من هذا الرأى منذ نظرت فى حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة أو يختمها عهد واحد . فهى - ككل شىء فى الحياة - تزداد فهمًا على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاستكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم فى عالم الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب ، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون .

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذى تُفاجَأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك فى حالة كحالة الشاب فى أول عشقه : وجهٌ ساهم وفم مفغور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونَفَس مطرود . . . وهذه هى الحالة التى يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتى هذه الرياضة شيئًا فشيئًا مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور .

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحُ للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكنّ سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفاها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفًا يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعًا فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار علىّ صاحبنا هاردى فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب

وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع عنان الاختيار دون المراد .

* * *

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين بل الثمانين ؟

قلت : يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات هاردى إن لم تشأ . . . فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين كما تلم به فيما وراء السبعين .

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى يقظة الحياة ومعترك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير» فقال :

«آن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواه ، ولكنى وقد حُرمت من يَهْوى إلىّ ، حسبى نصيبًا من الحب أن أهْوى .

إن أيامى لمكتوبة على الورقة الذاوية . إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعة . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى لى . . . لى وحدها تحيا .

وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان فى عزلة قاصية حممها لا توقد جذوة أخرى ، وإنما هى نار تبيت على سرير الردى .

وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغَيرى . ذلك الحظ المقسوم

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها حصة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟» .

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ، ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا حياة ، ولكنْ هكذا كان على ما أراد – أو على غير ما أراد – فماذا تغنى السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ، والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيما يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدية الكروان . وعابر سبيل ، ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب هاردى من مغربه المديد أمنية أشتهيها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد

في العالم

يارب . . . ويا خلق !

* * *

يارب !

يـارب أَعـطـينـاك أَرواحـنـا   في هذه الحرب وفي الماضية

يا ربنا فـــاقْضِ لنا مـــرةً   بالسلم في أيامنا البـاقـيـة

* * *

ياخلق !

يا خلق مـا أَرواحكم سـمـحةً   عندي ، ولا إن سمحت كافية

أَعطيـتمُ إبليس أضعـافـهـا   من حَيَوات عندكم غـاليـة

وبعـتمُ في سـوقـه كلّ مـا   وهبتكم من عيشة راضية

لم تشـتـروا السلم بأرواحكم   بل اشـتـريتم نقـمـة ثانيـة

عطاؤكم إبليسَ سـمـحٌ بلا   أجـر ولا أُمنيـة خـافـيـة

ومـــا بذلتم قط لي قُـــربةً   إلا رجاء العفـو والعـافـيـة !

* * *

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا   لم لا تعدموا من الظلم رغما !

لو وقفتم يوماً إلى جانب المغلو   ب مـا فـاز غـالبٌ قطّ ظلمـا

قريب قريب

عجبنا زمانا لهذى الحروبْ   وما فى الحروب لَعَمْرى عجيب
أتعجب من أن قوما تمو   ت ، ومن أن قومًا قساة القلوب
وما قسوة الناس بدعٌ ولا   أرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب ياصاحبى   كلا طرفيها قريب قريب

* * *

فصد !

قالوا : هى الحرب فصْدٌ   به الشفاء يُؤَمَّل
قلنا : نعم . فصد عرق   حىٌ وإعفاءُ دُمَّل !

* * *

الخلود المزدرى

نفوسٌ أَعاف مقامى بها   أأخلد فيها؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودى به   أليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبى خالد   يك ، وقل من مُزَكٍّ لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا   إذا سُرمدوا فى ضمير القرود
فرب خلود كقيد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

* * *

سوء توزيع

دنياك فيها جمال ورحمة وسرور
تُلقَى ولا تبتغيها وتُبتَغى فتجور [1]
هذا هو الشر عندى ومنه تنمو شرور

* * *

بأس الطغاة

بأْس الطغاة تقول ؟! مهلاً . عداك الذهول
هيهات يطغى ابن أنثى فى أُمةٍ أو يصول
ما لم يُعِنْهُ عليها جهل وحقد دخيل
هما الأصيلان فاعلم وكل طاغ وكيل
وما لطاغٍ سبيل لولاهما أو دليل

* * *

الداء العالمى

أرثى له عالَمًا شقيًا يقاد مستسلمًا زريًا
ومن هم القائدون ؟ . . رهط
من شرهم خسةً وغيا
هذا هو الداء لا قتالٌ
يطوى صفوف الجموع طيا

(١) جار عن الطريق : حاد عنه .

فالجهل يزرى بكل حى ولا تعيب المنون حيا

* * *

قلت للمريخ (١)

قلت للمريخ أعذله وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما ذلك الإغراق فى العطب ؟
أُممٌ تسطو على أمم ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على عيْلم(٢) للدمع منسكب
وقبور كظَّها تَخَما جثثُ الهلكى من السَّغب (٣)

* * *

قال : مهْ يا صاح أَين ترى كلّ ما استهولتَ واعجبى
أَرضكم ما زلت أبصرها نائيًا حينًا وعن كثب (٤)
هَيِّن ما قد تبدّل من سمتها فى هذه الحقب

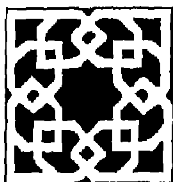
* * *

جزاء اللّه

جزى اللّه هتلر أوفى الجزاء بما قد أَجاد وما قد أَساء
فما زال يقذف من حوله مواعظَ يلقفها من يشاء
أَلم نر كيف يكون الحقير حقيرًا ويقضى بأَيدى القضاء
وينهى ويأمر فى قومه ويبرم فى أَمرهم ما يشاء

(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب. (٢) بحر.
(٣) الجوع (٤) عن قرب.

ويغـــزو المـمـــالك فى عـــالم	تُفـــدَّى ممالكه بالـدمـــاء
ويفـــتح باريس فى وثبـــة	ويوصـــد لندن دون الـهـــواء
فـوالله مـا الحـرب فى هولـهـا	وفى كل مـا خيّبت من رجـاء
بضمـــائعـــة عـــبـــثًـــا لو درى	بنو آدم كـــيف يُزجَى الثـناء
فـقـد يضـخّم العـمل المزدرى	فيضخم ضعفين فى الازدراء



فى النفس

هذا هو الحب !

غريزةٌ تسأل : ما الحب ؟

بُنيتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أَن أُبصر ما لا يُرى   أو أُغمض العين فلا أبصرا

وأن أُسيغَ الحق ما سرّنى   فإنْ أبى ، فالكَذِبُ المفترى

* * *

الحب أَن أسأَل : ما بالهم   لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟

ويسأل الخالون ما باله   هام بها بُهْرًا وما فكرا ؟

* * *

الحب أَن أَفرق[1] من نملة   حينًا ، وقد أَصرع ليثَ الشَّرى

وأَن أَرانى تارةً مقبلا   وخطوتى تمشى بِىَ القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لى   سكرتَ ؟ هَمَّ القلبُ أَن يُنْكِرا

وكل عضو بعده قائل   نعم ، ولا أحفل أن أسكرا

* * *

الحب أَن يَفْرقَ أعمارنا   عهدان ، والعهد وثيق العُرَى

أحسبنى الأكبر حتى إذا   عانَقْتِنى أَلفيتِنى الأَصْغَرا

---

(١) أخاف .

الحب أَن نصعد فوق الذرى   والحب أَن نهبط تحت الثرى
والحب أَن نؤثر لذاتنا   وأَن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أَن أجمع فى لحظة   جهنم الحمراءَ والكوثرا[1]
وإننى أخطئ فى لهفتى   مَنْ منهما رَوَّى ومَنْ سعَّرا

* * *

الحب أَن يمضى عام وما   هممت أَن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت فى ساعة   حواشى الدفتر والأَسطرا

* * *

بُنيَّتى ! هذا هو الحبُّ
فَهِمْتِه ؟ كلا . ولاعَتْبُ !
مسأَلَةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شَفَتْ حسب ،
إشارة دق لها القلب

* * *

عمر زهرة

فريدةٌ في روضها   أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها   فى كل عيد ، واسلمى
أَلست أنتِ مثلها   علمت أَو لم تعلمى
هدية الخلاق لى   وقد رأَى تنسمى ؟ [2]

---

(١) الكوثر: نهر فى الجنة .   (٢) تنسم ، تلطف فى طلب الخبر أو الرائحة .

زهرتك البيضاء هلاّ تذكرين نشرها؟ [1]

حفظتها فى خدرها هل برحت مقرها ؟

حفظتها . حفظتها فهل حفظتِ سرها ؟

قصصتُ منها عقدة لكى أطيل عَمرها

* * *

من يحفظ الزهرة أُسبوعاً إلى تمامه

قد يحفظُ الحب إلى السابع من أعوامه

فانتظريه فى غد يسأل عن غرامه

ولا يمسه إلا لكى يزيد فى أيامه

* * *

وتسألين ما لنا نقص منه يا ترى ؟

نعم فكل حىّ ناقصٌ ما عُمِّرا

كم ساعة نبترها تزيد فيه أشهرا

فلا يزال مشتهىً ولا يزال أخضرا

* * *

كوبيد يتسلل

نفض النعاسَ فؤادُه وصبا وصحا ، فمال ، فهام فاضطربا

ونفى السآمة بعد ما بلغت منه المُشاش[2] ، وعاود اللعبا

وجرى الذى ما كان يحسبه يومًا يكون ، وطالما حسبا

فى توبة الخمسين يشغله وجهٌ ، ويملأُ صدره رَغَبا

ويظل يسأله ، وإن وهبا . . . ويبيت يسمعه ، وإن كذبا

---

(١) رائحتها .

(٢) رأس العظم .

ويعـــــد منه الـزور مـــأثرة أو لا يريد بزوره ســـبــبـــا ؟!
رجع الهوى . عجبًا له ، عجبا ! لا طاغـيًّـا وافى ولا لجــبـــا
لـم أُولِه باباً ولا كـنـفًـــــا عندى ، فكيف أطل واقــتـربا
ناديتُــــه حـــينًا فـــراوغنى فــاليــوم نادانى ومـــا طُلبــا
بينا أَقــول صـــددته حـــذرا طلع النـهـــار إذا به انســـربا
لُــذْ يـا بـنـىَّ بمـن يـلاذ بـه ولك الحمى ، وما لم تهج غضبا

* * *

هذا الصـغـيــر على غـرارته يدرى النفــاق ويحــسن الأَدبا
وتراه فى العشرين مستبقًّـا وتراه فى الخمسين مصطحبا
ويغــيظ من كـيــد وعــربدة فـإذا أُغـيظ شكا أو انتـحـبا
مـتـمـرِّسًـا بالدهر مـخـتـبرا خـيم[1] القلوب مـحـاذراً دربا
سـأضـمـه رفـقًـا ، وأوسـعـه برًّا ، وأَملك قلبــه حـــدبا[2]
ويقـيم لا أخـشى كِنانتـه [3] . . . السهم أَخطأ والحسام نبا

* * *

أكـــذاك أم هو خـــادعى أبدًا حتى إذا أَمن الحمى انقلبا ؟
سيـــان . مـــا أنا حـــاذر لغـد أغلبتــــه بالكيــد أم غلبـــا
حـــذرى أشـــد علىَّ من خـــدع تُشـــقى وتُســـعـــد بالمنى نُوَبا
فى كـل يقظة خـــائف هَرَمٌ ومع الخـــديعـــة لذةٌ وَصِــبـــا

* * *

(١) الخيم : الطبيعة . (٢) عطفاً .
(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلا يحمل كنانة يرمى بأسهمها من يلقاه .

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع[1] يدى   وضُمِّن الطرسُ إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف   ألا يَسُرُّ يمينًا نبثُّها الزاكى
ضيَّعتُ فيك مسراتى فما بقيت   لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به   عن عالم ضاحك أو عالم باك

* * *

دنيا مقلوبة

صوت النذير[2] الذى أبقاك خائفة   على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً   إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحب والحرب وا ويْلا قد اجتمعا   فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

* * *

الحب

ما الحب روح واحدٌ   فى جَسَدىْ معتنقين
الحب روحان معاً   كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة   أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أتَرانى لا أسمع الطير إلا   فى رياضى معششًا لا يريم[3] ؟
رب شادٍ فى هجرة يتغنى   وعليه السلام والتسليم

(١) القلم .   (٢) النذير بالغارات .   (٣) يفارق .

من جنوب إلى شمال ، وحينًا من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقل[1] وداع وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كلَّ يوم جديدًا فسواء جديده والقديم
كم مُوَلّ وصفوهُ لا يُوَلِّى ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

* * *

الصدار الذى نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبى يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل على المودة حسبى

* * *

أَلم أَنل منك فكرة فى كل شكة إبرة
وكل عقدة خيطٍ وكل جرة بكرة !

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك
والقلب فيه أَسير مطوّق بحصارك !

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مرَّ منه إلىَّ طيف غريب ؟

(١) حين يبرح ويسافر .

نسجته بيدك   على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى   ما زلت فى إصبعيك

* * *

قولى مع السلامة

نعم مع السلامة   والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لى
من ثغرك المقبَّل
وأنت لى فى منزلى
وشيكةٌ أن تخجلى

من قبلة حَرَّى إلى   لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها   لا .لا . مع السلامة

حتى إلى القيامة

* * *

أَما إذا مِسرَّتى [1]
نادتك يا حبيبتى
فاستمعى تحيتى
ثم «اسألى عن ليلتى»

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون .

ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النّغامة

فإن أطلتِ بعدها — فهذه علامة
قولى مع السلامة — قولى مع السلامة

* * *

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لاتنوشه — مخالب من وسواسه أو نواجذ[1]
فلا تحسبى أنى خلىٌّ من الهوى — ولا أننى سال هواك فنابذ
ولكننى راض بما تظهرينه — وما أنا فى السر المُغَيَّب نافذ
فلستُ إلى ما فات منك براجع — ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

* * *

هبة لا تنقل

تريدين قلبى؟ خذيه خذيه ! . . . — رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيه إذا غبت عنى أرى — محياك فيه ، وحبىَ فيه
وسِرٌّ أبوح به خلسة — وإن كنتِ من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعد أن تلعبى — به يا بنية أو تهمليه
فكم لعبة وقعت من يد — يك وقوعًا أرى القلب لا يشتهيه
إذا ما لعبت به ها هنا — فإنى لآمن أن تكسريه
تريدين قلبى ؟ خذيه خذيه — ولكن بربك لا تنقليه

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس .

بعض الزراية

بـعـض الـزرايـة نـافـع   فى حبهن فلا تُغال[1]
لـولا الـزرايـة لـم تـطـق   منهُنّ مشنوء[2] الخصال
مـا حـبـهـن من المهـا   نة فى قـرارته بخـال

* * *

قبل السكر

لمع الشـراب وراق مـنظره   فـرشـفت منه خـلاصـة الراح
حـتى إذا غـالبت سكرته   صفّقته[3] ، فـرددت أقـداحى
شكرًا . فـمـا أقسى المغبـة لو   أمسى يشاب ولست بالضاحى
قَـدَحـانِ أسلمُ لى ، وإن فـتنت   عـينىّ لمعـةُ حـسنه الضـاحى

* * *

لغير البيع !

جـواهر الحب قـالوا غـيـر زائفـة   مـهـلا ! فـمـا أنا فـيـه بائع شـار
كـلا ، ولا أنا من شك ولا ولع   بالسر عارضُ أحجارى على النار
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه   إنى قنعت بومض منه غـرار
مـا لـلأناسىّ من حـب يدوم ولا   حب يقـوم على صـدق وإيثـار

* * *

(١) أى : لا تبالغ .   (٢) المشنوء : المستقبح .
(٣) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء .

جزاء التحدى

بُنيَّة ما صنعت ؟ جزاك ربى بحب فى مشيبك مثل حبى
لقد غيرتنى حتى لو انى أرى قلبى إذن لجهلت قلبى
سلينى كيف كنت وكيف صرت وقولى ما صنعت وما صنعت
قدرت على الحوادث بعد لأى[1] وها أنا ذا كأنى ما قدرت

* * *

أخاف وكان لى قلب قرير فها أنا ذا إذا صَفَر النذير[2]
أتوق إلى غد لتراك عينى وأرجم من يغار بمن يغير

* * *

وكانت لى سلالم أرتقيها فرادى لا أُبالى ما يليها
فعدت مُثَنِّيًا عَجِلاً كأَنى أخو العشرين مرتقيًا سنيها

* * *

وكنت من السآمة لا أبالى . . . أذَمَّ الناسُ أَمْ حمدوا فِعالى
فها أنا ذا أسائل ما عساها ستسمع فىَّ من قيل وقال

* * *

وكنت هزئت حتى بالجمال وحتى بالفنون وبالمعالى
فما لى اليوم لا أرضى بحال وكنت الأمس أرضى كلَّ حال؟

* * *

---

(١) اللأى : البطء .

(٢) نذير الغارات .

أعود إلى الحياة فتلك عندى همـوم المستـعيـد المستعد
تحديتُ الحيـاة فهل جزتنى بهذا الحب عن ذاك التحدى ؟

* * *

إعفاء

أُعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصِّى عندى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فَقْدُكِ يا زينة النساء

* * *

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
فحبى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حجة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى ! (١)
ومخَّضته ماء الشباب فما ارتوى
فهل فى خريف العمر يطمع أن يُروى
رضيت بما أعطَى وأحسبه ارتضي بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكًا ووصلا بلا هجر ، وهجرًا إلى سلوى

* * *

(١) يستقيم الوزن بالوقوف التام على «اليوم» الأولى ، ثم الاستئناف على «اليوم» الثانية – وهو مالا يجيزه المتشدِّدون من العروضيين ويؤثرون عليه إدخال فاء العطف على «اليوم» الثانية .

زهرة ديسمبر

خــل أَيَّــار [٢] ونــوَّارا لــه   ربما أعــجب قــومًــا ربما
خــيــر نَوَّارى الذى أُهديتُــه   زَهَرٌ فى شــهــر كــانون[١] نما
عــيـد مـيلادك من بسـتـانه   يا ربيعًا فى الشتـاء ابتسـمـا
هات ياكــانون زهرًا كلمــا   سـقط الزهر تعـالى وسـمـا

* * *

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجلْ تلك خـبـاياها   وهـاتـيـك خـطـايـاهـا
فـــهل تدرين مـــاذا   ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فـيــهـا من العـيب   سننســـاه وننســـاها
وللحـسن الذى فـيـهـا   سنُحـيى الآن ذكــراها

* * *

سأحصى لك ما يعجب   منهـا ، وهو كـالشـمس
كما أحصيت ما يغضب   بعــد السـعى والدس

* * *

ثـنـاياهـا . ثـنـاياهـا   وهل ذقتِ ثنيـــاها ؟
وعــيناها ، ويا للقلب !   كم تسـبيـه عـيناها ؟!

* * *

(٢) أيار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك الوجنة الخمـ ـرية السكران رائيها
أفى الجنة يارضوا ن تفاح يحاكيها ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

* * *

وتلك النسمة الحلو ة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراشـ ـية فى النور السماوى !
دعيها تفسد الخمسـ ـين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الإكسـ ـير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميَّا[1] الشـ ـعر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنـ ـيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج

ما الحب من محض الصدا قة يابنى ، ولا العداء
الحب فيه الخصلتا ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء!

---

(١) الحميا : سَوْرَة الخمر .

مسابقة

أغنيتها عن خدعتى زمنا   وخدعت نفسى فى محبتها
فبلغت أقصى الظن ممتحنا   صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

* * *

لاتخلفى !

لا تخلفى وعدى فأكبر لذتى   فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغضّ من إعــزازه ودلالـه   أنى إذا وعَــدَ ازدريت بوعــده

* * *

أخلفى

إن كـان خلفك للوعـود تدللا   بمكانك الغـالى لدىّ فـأخلفى
مـا كنت أُتبعـه القطيعـة آنة   هو منك واعجبى يطيل تشوفى

* * *

بنت البحر

أبُنَيَّةَ البحر التى ضربت لنا   بسكندرية مـوعـدًا لتـلاق
إنى مددت يدى لتلمس شاطئى   قـدماك لا لِتُعَجِّلى إغـراقى

* * *

اكذبينى

اكــذبينى مــرة أو   فــاكــذبينى مــرتين

أَلف أَلف من أعــاجـيــبك فى غش ومين [1]
لن تبيد الفارق الخا لد يا قــرة عـينى
والســمــاوات التى بينك فى اللب وبينى

* * *

اكـذبينى واكـذبينى كلما شئت اكـذبينى
مــا غناء اللب عندى إن أَبى أَن تخدعينى
أنا فى ثروة وفــر منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضير ؟ درهمًا أو درهمين !!

* * *

تقويم العام

تقــويم هذا العــام من لحظاته الأولى لديك
قومى ارفعيه وارفعى عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعــه إلى رجعاه موقوف عليك

* * *

وإذا انتــهت أيامــه ولكل عــام منتــهــاه
فعليك أنت وداعه . . وترحِّــبين بما تلاه
ويحي إذا دار المدى ورعيت وحدى ملتقاه !

* * *

(١) المين : الكذب .

هى قُـبلة ضَـمَّتْ عُـرَى   عـامين فـاتصـلا اتصـالا
ومُنَى الخـواطر فى غـد   عــام كــسـابقــه مـآلا
لا تَعْــجِلَنَّ به فـــمـــا   أَقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فـــهـــذا يومنا   وغدٌ ، وبعد غد ، خـفاء
أنا مغـمض عينى ومسـ   ـتمع إلى حادى الرجاء
فـإذا ســمــعتِ حُـداءه   فدعيه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان

بشــراى . مــا أَنا شــاهد   يا عـام وحـدى ملتـقـاك
دارت بُروجُك والهـــوى   يخطو وتتـبـعــه خطاك
وحـمـدت وجهك مقبلا   ومـضى ، فلم أذم قـفـاك

* * *

هذى فـــتــــاتى هذه !   هى لاخلاف ولااشتباه
هى فى بديع قـوامـهـا   هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غــوايتــهـــا وآ   هٍ من غـــوايتـــهـــا وآه

* * *

ضُـمى تُغـيْرك يا بنيـة   وابعـــــثى منه الأمـل
لا بالعـهـود إلى مـدى   عـــام ، ولكن بالقُــبل
إن ســاعــفـــتنى ليلة   فـدعى العـهـود إلى أجل

* * *

عـــام تفـــتَّح بالرجـــا ء وبالرجـاء خـتـمـتـه
ودّعتَ ذاك العــــام فـى قـربى كـمـا اسـتـقـبلتـه
قــولى ، وقــد ولَّى ، أفـى شـرع الوفـاء قـضـيتـه ؟

* * *

لا تخـــدعـــينى يا بنيـــة بالوفـــاء من اللســـانْ
خُنّا وخُنْتِ ولا أقـــو ل سلى فـلانة أو فـلان
ذهبت خـيـانتنا مـعًـا والآن نحن البـاقـيـان

* * *

ذهبت خـيـانتنا كـمـا ذهب الوفـاء ومن يَفُـون
لا ذمَّـــةٌ تبـــقى ولا يبـقى الوفىّ ولا الخؤُون
كم ذمـة ضـيـعـتـهـا يا عام فى تلك الغضون !

* * *

انظر ألست ترى فـتـا تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسـة الأمس التى حتى الصباح جلستها
فكأنهـا مـافـارقـت صـدرى ولا فـارقـتـهـا

* * *

وإذا ســـــألتَ وربما جاء السؤال بلا كـلام :
«مـاذا تقـول مـودعى والليل يومئ بالسـلام»
حيرتنى ياعام فاسـتـمـ ـع الجـواب ولا مـلام

* * *

مـا كنت عندى أَيّهـذا العـام كُلكَ بالسـعـيـد
لكن سـويعـات مـضت لى فيك تُنْسى ألفَ عيد
غـفـرت ذنوبك كلهـا وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أَعطت ودنيـانا غـرور
حـسـبى قليل عطائهـا وقليلهـا أَبدًا كـثـيـر
إن عـاد يوم غـد كـأَمـ ـس فَدُرْ زمانُ كما تدور

* * *

وعام ثالث !

. . . والثالث الموصول أقـ ـبل مـرحـبًـا بالثـالـث
رَحَّـبْتُ منه بمقـبل إقـبـال لاه عـابث
ما كـان يكرثنا [1] شـقـا قًـا لم يعـد بالكارث

* * *

رضنا الغـرام رياضـة الـ ـفَـرَسِ العـصىّ فـأذعنا
لا جـامـحًـا قلقًـا ولا تَعِـبًـا يئن من الونى [2]

أَنعم بذلك مـركـبًـا بين العـوائر لينا

* * *

(١) يهمنا ويشغل بالنا . (٢) الفتور .

مـــا للغــرام يســـومنا   بنعـيـمـه وشـقـائه
إنا لمغـــتنمـــو جـــهنـــ   ـمـه اغـتنام سـمـائه
لسنا على يده يجـــو   د لنا بمحض سـخـائه

* * *

مـا شبٌ من نار طبـخـ   ـنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمسـ   ـنا فـيـه آلام الجـوى
أو زفٌ مـن ريح وهـبـنـا   ها الشراع كـمـا استوى

* * *

أهـلاً بعـــام ثالـث   يـتـلـوه عـــام رابع
بل خـامس فيما عـهـد   ت وســادس أو ســابع
مـا ضـاقت الدنيـا وفى   جنبـيك قلب واسع

* * *

قلبٌ تفـتح بعـد مــا   استعصى بباب واحد
أو قُلْ تشـــقق بالجـــر   اح فـلـم يضـق بالـوارد
مــا حـيلة الأعـوام فى   غِـيـر الزمـان الفـاسـد

* * *

يا قلب إنك قـــد أَرد   ت فأين ويحك ما تريد؟
عـام سـعـيـد ! إى ور   بك . . . قل إذن عام سعيد
هبك اعـتـزلت سروره   أَتـراه ينقص أو يزيد ؟

* * *

بعد سنة

سنة مـــــرت ولا كـل الـسـنـين

بين صـــيف من هوانا وشـــتـــاء
وربـيـع كـلـمـــا غـــام أضـــاء

والـضـحى والليل حـينًا بعـد حين

* * *

سنة كـــان لهـــا نجم فـــريد

غـــمـــر الشـــمس وغطى القـــمـــرا
ومـــشى فى حـــسنه منتـــصـــرا

كلّ برج تحـــتـــه برج ســـعـــيـــد

* * *

إن يـكـن لـى فى سناه رقـــبـــاء

فـــالذى أرصـــده لـم يرصـــدوه
والـذى أنـشـــده لـم يـنـشـــدوه

والـذى هـامـــوا به عندى هـبـــاء

* * *

سنة مـــرت على روض الـغـــرام

أنبـــتت فـــيـــه فنون الـشـــجـــر
من رياحينَ وغـــرس مـــثـــمـــر

وسل الأرواح مـــا أزكى الـطـعـــام !

* * *

يومها الأَول وافى ودنا

فانس أَيامك فى ساعاته
واجمع الصافى من لذاته

جرعة ، واطرب عليها زمنا

* * *

جرعة نجمع فيها سكر عام

إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا

فى الهوى روحين فى كأس وِئام

* * *

هات لى الذكرى وقرِّب لى العيان

فهما يا صاحبى بين يدىّ
حضرا الساعة يا صاح لدىّ

ربة الذكرى وذكراها قِران

* * *

هات لى الذكرى أراها وترانى

غضة ملموسة فى راحتىّ
حلوة معسولة فى شفتىّ

جنة تنبت فى كل أوان

* * *

جنتى لا حَيَّةٌ تخرجنى

أبدًا منها ولا أَحياؤُها
لا ولا إبليس أو حواؤها

أَنا فيها خالد كالزمن

* * *

أَنا منها وهى منى فى الضمير

فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميرى عُمُرى

وله العصمة من مس السعير

* * *

سنة كان لها نجم فريد

هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات

ولنا منك مزيد المستزيد

* * *

أَنت يا نجم معيد ما تشاء

لا السماوات ولا داراتها
غُنْيَةٌ عنك ولا أوقاتها

أَنت ميقات وشمس وسماء

* * *

أنت تدنيـــهــا ســـمـــاء زلفـــا [1]

تـنـسـج الـوقـت لـنـا مـنـفـــــردين
لا مـــشـــاعًـــا كـنـســـيـج الـنـيـــريـن

بـل لـنـا طـوع يـديـنـا وكـــــــفـى

* * *

المرأة والخداع

خلٌّ الملام فليس يَثْنيـــهـــا ، ... حب الخداع طبيعة فيها
هو ســتــرها ، وطلاء زينتــهــا ، ورياضــة للنفس تحــيــيــهـــا
وســـلاحــهـا فــيــمــا تكيـد به من يصطفـيــهـــا أو يعــاديهـا
وهو انتـقــام الضـعـف ينقـذها من طول ذل بات يشــقــيــهــا
أَنت الملوم إذا أردت لـهـــــا مـــا لم يُرده قــضـــاء باريهـــا
خنـهـــا ! ولا تخلص لـهـــا أبدًا تخلص إلى أَغلى غــواليـــهـــا

* * *

رواية

مـــا غـــرنى إقناعــهـــا كـــلا ولا إمــتـــاعـــهـــا
مـــاذا تخـــبىء طفلةٌ رقت ورق قـنـاعـــــهـــا
بل غـــرنى علم الطبـــا ع ، وللنفــوس طبـاعـهـا

(١) الزلف : التقدم والتقرب .

أَو ليس علمًا بالحيا ... ة يهون فيه صراعها
إنى أُشاهد كيف يفـ ... ـطم فى القلوب رضاعها
أَو كيف يسرى فى النفو ... س الواعيات خداعها
أَو كيف ينهض بعد طو ... ل سباته دفّاعها [1]
أو كيف يومض بعدما ... خَفَتَ السراجُ شعاعها
دعنى فتلك رواية ... شاقت وشاق سماعها
أَملى الوجيز رقاعها ... إن قيل أَين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علمـ ... ـت ، متى يكون وداعها

* * *

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا ... وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على ... مساوئ يُحسبنَ عندى مزايا
لمن أَرْسَلَتْك ، ومن جملتـ ... ـك ، ومن حبُّها كامنٌ فى حشايا
أَلست رسولَ الحياة الأمـ ... ـين بأسنَى الهبات وأغلى الهدايا
فهاتى الرسالة واستغنمى ... ثنائى ، ولا تعجبى من هوايا
إذا الرسل أَفضت بما عندها ... فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو ... ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

* * *

---

(١) الدّفاع : قوة الموج وكل مدفوع .

ماذا استفدتُ ؟

برئت من غش نفسى ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عين مستيقظًا ما غفوتُ

* * *

برئت من غش نفسى وليتنى ما برئت
ما العمر محض نهار ! فى العمر للغمضى وقت

* * *

ها أنت يا عين يقظى وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عسانى استفدت ؟!

* * *

تربصى

إذا احتواك قفصى
سرى الفتور فى جنا حيك وإن لم تنقصى
وغرّد الطير وضا عت فى الغناء فرصى
وخفت فى سجنك ألا ترقصى

* * *

وإن ملكتِ الأفقا

حيّرني رحب الفضا ء مهبطًا ومُرتَقى
وأَوشك الصدر لفرط الضيق أَلا يخفقا

وطار في إثرك لبي قلقا

* * *

تربصي . تربصي !

ما حيلتي؟ ما مَهْرَ بي ؟ ما مخلصي ؟
الموت قناص الأبابيل وحلال العصي

يقنصني ويحك إن لم تنقصي

* * *

فهمان

لما نفست بما أغالي في هواك وأُطنب
لم تفهمي مني سوى أَن النفائس تُطلَب
وفهمت من نزغات طبعك ، والطبائع تغلب
أَن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !

فرخصت من فرط الغلو وخبتُ فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلت أَني أكسب

* * *

كيف ؟

تحــفــة من بدائع اللّه تحــمى   كنزها كفٌ طفلة لا تقـــر
كيف لى بادخاره فى يديها ؟   كـيف لى باحـتـقـاره وهو ذخـر

* * *

مصيبتان

قـالوا اسلُهـا ودع البكاء فـإنهـا   فى حـبـهـا ليست بذات وفـاء
ومـصـيـبـتى فـيـهـا اثنتـان لأننى   أَبكى لمن لا يسـتــحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء ففى الأسى   لمن اسـتـحق أسـاه بعضُ عـزاء

* * *

ندم !

عـشـقـتك مُكْذِبًا خلقى ورأيى   وعـفْـتك صـادقًـا لهـمـا أَمينا
ومـا أَخطأت فى لَوْميكِ يومًـا   وقـد أَخطأت فى عُـذْريكِ حـينا

حلم الأبد

أَأَهواك جسماً علا وانفرد   وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد ؟
بُنيةُ كونى كـمـا قـد خلقتِ   فأَنت كما شاءك اللّه أَنت
وما شـئـتـه أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبكَ لم أَحفل بها قبل فتنتى   وهيهات يثْنى العيبُ نظرةَ مفتون
فيا بؤس للعشاق لاعلمهم حمى   ولا جـهلهم إذ يجـهلون بمأمـون

* * *

مساومة

مـا حيلتى إن جَهلَتْ حسنها   فسلَّمت بالبـخس للمـشـترى
لو كنت فى جـهلهـا بعـتـهـا   ببـعض مـا هان على المزدرى
إنى على إغـلائهـا فى الهـوى   أَرْبَحُ فى الصفقة من منكرى [1]
ليس الذى يَقْـــدر مـــا نالـه   كـــمن إذا أُعطِىَ لم يَقْـــدُرِ [2]

* * *

اللذات والويلات

غـــــدًا تنسين لـذاتٍ   بـلا عَــــــدٍّ ولـذات
ولا تــنـسـين ويـلاتـىِ   ولا زجـــــرى وإعـناتـى
فـــمـــا فى تيك من حــبك بعض الحب فى هاتى
وهيـهـات الهوى الطاغى   من العـــابث هيــهــاتِ

* * *

---

(١) أربح : أى أكثر ربحاً .
(٢) قَدرَ الشىء يَقْدرُه ، أى عرف له قيمته .

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأَذكرها صبحاً ومُسْياً وفى سر وإعلان
قد كنت أَرحم نفسى من تذكُّرها فاليوم أَرحمها من فرط نسيانى
عجائب القلب ، ويلى من عجائبه! عزت نظائرها فى العالم الفانى

عدنا والتقينا

التقينا
والتقينا !
عجبًا كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا (١)

* * *

بعد عصر !
أَى عصر ؟
والنوى تجرى وسر الحب فى الأَكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أَرض مصر
قضى الأَمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

* * *

(١) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطليان على حدود مصر الغربية فى شهر يونية سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه فى القصيدة .

كم بكيتِ
واشتكيتَ
ثم أُلهمتَ على الغيب فأَصغينا وقلتِ
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني ، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعبر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كان يوم ، أيّ يوم ، في صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

وتداني
وكلانا
زائغ الطرف يناجي الأفق قلبًا ولسانًا
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعْد لى قربا ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفًا فالتقينا

كم غرام
وسقام
عرفا الخلف على غير سلام ووئام
فإذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتى
يا حياتى
لا تراعى بعد هذا من فراق أو فوات
قَدَرُ اللّه كفيل لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

* * *

نذر مقبول

أَرأيت حين نذرتِ ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لباك ؟ من ذا أَجاب مناك ؟
قديسة عطفت على المكنون من نجواك
ووعدتها فوفيت

* * *

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبابتى والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

بالشـمع كم أَغـريتـهـا أتراك أنت خـدعـتـهـا ؟
كـلا ومـا أَقـواك فى خـدعـة وشـبـاك
فـالنور لـب غـذائهـا والنور صـفـو رضـاك
شـغـفتْ به وشـغـفت

* * *

من الأستاذ عماد [1]

يا حـزين النفس أُعطيت مناها فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصها اختبارًا واكتناها إن من خـاف من الجن يراها

* * *

النوى آتيـة لا شك يومًـا وهى من حولكما لم تأل حوما
هَمُّـهـا ألا يدوم الصـفـو دومًا فعلى رِسْلِكَ لا تُعْجِلْ خطاها

* * *

لا تقلِ يا وردتى شـوكك أَينا ما علينا منه فيها ، ما علينا ؟
إنهـا أَخـفـتـه عنا فـانتـهـينا حـسـبنا الوردة رفَّت فى نداها

* * *

ليس شكٌّ أَن للوردة شـوكـا وإذا أَدنيت كـفّـاً منه شكّا
فأْحبُكِ القفاز فى كفيك حبكا واخلس الوردة واستغرق شذاها

* * *

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد : الأستاذ محمود عماد .

أنت فى الجنة أُلقيت يقينا فدع الشك أو استمهله حينا
إنه الشيطان قد أَخفى القرونا إنه الحية فاحذر مِنْ أَذاها

* * *

لا تسلها يوم تأْتى أَين كنتِ ؟ فبحسب العين أَن الحسن يأتى
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت ساعة دقت ، وغابت عقرباها

* * *

ساعة دقت فأَدت ما عليها فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ما الذى تطلبه من عقربيها إن تغيبا خلف ستر قد حماها؟

* * *

قُلْتَ أنساها بأخرى حين تُغْرَى أَترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفئ جمرا اللظى من غيرها مثل لظاها !

* * *

إنها منك دنت فلتدن منها وإذا خانتك من بعد فخنها
أَو فجرِّب هل تطيق الصبر عنها ؟
لا . وشمسِ الحسن فيها ، وضحاها ![1]

* * *

غصْتَ فى اللجة حتى أذنيكا وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تَتْرى عليكا رحمة إن شاءها الحسن قضاها

---

(١) الواو هنا للقسم لا للعطف .

وإذا شـاء فـلا رحـمـة تقـضى   ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبـتـغى من تحت هذى الأرض أرضًا
لا . فـدنيـا الحب لا دنيـا سـواها
محمود عماد

* * *

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عـهـد صبـاها
نصحك الصادق لو تُشْفَى ، شَفاها [1]
مـحنةً تبلغ فى يوم مـداها   ما ترانى صانعًا ، أو ما تراها ؟

* * *

ناصحى أَنت بزهرى أَنتشيه   لا أُبالى الشوك والغصة فيه
كل شـوك يا صديقى أَتقيـه   يخـرق الدرع وإن دقت عـراها

* * *

وردتى يا صاحـبى فى الورد بدع!   بدعـهـا طبع ، وكل الورد طبع
طبعـهـا كـالفخ ينهاك ويدعو   وبلاء النفس فى مسٍّ جناها

* * *

إن تقل فـز بالجنى قلت رويدا   الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا   الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها!

* * *

(١) أى أن نصحك قمين أن يشفى النفس لو أنها تقبل الشفاء .

وردتى آفتها فرط التحدى جاوزت فى كل شىء كلّ حد
حسنها هيهات منه حسن ورد شوكها أنفذ من شوك سواها

* * *

أتراني نافعى والقلب دامٍ وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العين بوشى ونظامَ وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئى وآهٍ من سقامى آه من صلحى ، وآه من خصامى
آه من شمسى ، وآه من ظلامى آه من لذعة آه فى جواها

* * *

لذعة النيران ينفثن دخانًا ليضىء اللهب الخافى عيانا
لهبًا صرفًا تعالى وتدانى من قرار النفس يرتاد ذراها

* * *

آه من آهٍ لحاها اللّه جدًا لا تزل خالدة فى النار خلدا
من قلوبٍ تتلظى حبًا وحقدًا حرقت آهاتها آهًا فآها

* * *

أنا لا أطلقها حتى تذوبا فى لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأرانى يا صديقى لن أتوبا فإذا تابت عرفنا منتهاها

* * *

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءٌ فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياء ، فيها ، ولكنه اشتهاء !
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب فى هواه ! يا غاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جلاه ولوّث النفس بالطلاء !

* * *

حبك لا نعمة أَراها فيه ، ولكنه جزاء
من فى الصبا جرتْ فى هواها !
من تلك مقبولة الدعاء ؟
أَنت عقابى فهل كفاها برح شقائى أَولا اكتفاء ؟!
يا جنة حسنها عقاب يا خمرة عذبها عذاب
متى متى ينطوى الكتاب ؟
متى فراقٌ بلا لقاء !

* * *

بنيته

بنيته ، والعزم صخرى المتين ومعولى حدُّ العذاب السّنين
اسمعْ . أَلا تسمع هذا الرنين هذا فتات القلب . هذا أَنين
فى كل ركن قطعة من وتين [1]

(١) عرق فى القلب .

بنيتـه فى حـفـرة من شـقـاء   والـدمُ والدمع عليــــه طلاء
هناك ، فى زاوية ٍ، فى الخـفـاء   تم بحـــمـــد الله ، تم البناء !

مـــاذا بقى ؟ لم يبق إلا الدفين !

* * *

بنيتـه . يا حـسنه ! يا سناه !   بنيتـه : قـبر الهوى فى صباه
قبر الهوى الغالى وواحسرتاه !   قبر الهوى الذاهب فى منتهاه

هل بعد «خمسين» هوى يا حزين؟

* * *

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل   هاتوه أُدْمى جـســمـه بالقـبل
أدميـه ؟ لا . لا دم بعـد الأجل   جفٌ ومـا جـفـت عليـه المقل

هاتوه أحييـه بذكرى السنين

* * *

دفنتـه ، وَيحَكَ ! هل تستريح ؟   يا خارب القلب عمرت الضريح!
ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح   يا ليتـه ركن الخراب الفسيح

أو ليتك الساعة فيه الدفين

* * *

آه من الحــــيــــرة آهٍ وآه   أَنافعٌ قَلْبىَ ، رُجْـعَى هواه ؟
ولو خلا القبر ، أَهذا مناه ؟ . . .   لو أقـفـر السـاعـة مما حـواه

خلت من الحيـرة أنى الغبين

* * *

هنت والله

هوّنتِ خَطْبَك جداً وخِلتُه لن يهونا
حمداً لكيدِكِ حمدا ... حمداً يُفيضُ العيونا
بدّلتِ بالنارِ بردا وبالهيامِ سكونا

إنى أَمنتُ الفتونا
وأنت ماذا أمنت ؟
قد هنتِ واللّه هنتَ !

* * *

كم دارَ فى الكونِ رأسى حيرانَ يطوى بقاعَه
شكى يسائلُ حَدْسى أَين اختفت منذ ساعة ؟
سفينتى اليوم تُرْسى والركبُ يطوى شراعه

غيبى بغير شفاعة
ما أنت ويحك أنت [1]
قد هنت واللّه هنت

* * *

لو قيلَ «بنتُ الهواء» صدّقتُهُم فى المقالِ
ورثيته فى السخاء وفى شيوعِ النوالِ
لو كانَ فيكِ بقائى لم تخطرى لى ببالِ

من بالهواء يبالى
كونى إذن حيثُ كنتِ
قد هنت واللّه هنت

---

(١) « ما » هنا للنفى .

خــذى عـشـيـقين مـثلى   لا بل خـــــذى النـاسَ طُرا
يـلـقـــــاك هـذا بـلـيـلٍ   وذاك يـلـقــــاك ظُـهـــرا
إن تـخـــــدعـى رَبَّ نـبـلٍ   يـخـــــدعْـك نـذلانُ مَـكَـرا

وتـشــربى الجـامَ مُــرا
حـــتى يُقـــالَ جُننْتِ
قـــد هنت واللّه هَنت

* * *

يا فــــرحـــــةَ الـقـلبِ لما   رَخُـــصْـتِ بـعـــد غـــلاء
خـــســــــرى بـذلـك تـمَّـا   وتَمَّ مـنـكِ نجَـــــــائـى
ولو حـــســبــتـكِ غُنْمـــا   لـطالَ فـــيك شَـــقـــائـى

وغُــصَّ قــلـبــى بــدائــى
لـكن رحـــمـت فـــخـنت
وهـــنــت والـــلّــه هـــنـــتَ

* * *

فراغ . فراغ

فـــراغ بـارد شـــات   بـلا مـــاض ولا آت[1]
أأمـــوات ؟ نعم لكن   نـحس فـنـاء أمّـــوات
ويا بؤس الفناء نحــســه فى كل مـــيــقـــات

* * *

(١) شات : اسم فاعل من شتا يشتو ، أى دخل فى الشتاء .

في مصر
غيث الصحراء

ألقيت هذه القصيدة بين يدي صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» في رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب .

* * *

يا حادي البشرى دنا السفر ... ناد القبائل حيثما انتشروا
فاروق في البيداء يصحبها . . . ... تيهوا بني البيداء وافتخروا
رَفَع الخيام على السحاب فلا ... أُسُسٌ تطاولها ولا جدر

* * *

في طالع الأيام مرتقب ... ولسابغ الإنعام مدَّخر
كالغيث لولا سبق أَنعمه ... والغيث يلحق بعده الثمر
كالنيل لولا أن موسمه ... في كل يوم حاضر نضر
صَلَحَ الزمان لكم بمقدمه ... وازدانت الآصال [1] والبكر
فاستبشروا بالخصب أَجمعه ... لا جدب حيث النيل والمطر

* * *

أَحببتموه على السماع كما ... شاء الولاء ، وشاعت السير
وتشوَّف الوادي لرؤيته ... وتساءل الركبان ، وانتظروا
وتجاوبت فيكم مدائحه ... نظمًا رواه البدو والحضر
والعرب أَصدق ما سمعت إذا ... غنوا على البيداء أو شعروا
فالآن فاكتحلوا بطلعته ... وتيمنوا باليمن وابتدروا

---

(١) جمع أصيل ، وهو قبيل وقت الغروب .

مـلـكٌ تعـــــالى اللّـه بارئـه سـيـان فـيـه الـسـمـع والبـصـر
لـم يخـتـلـف قـول ولا عـمـل منه ، ولا خُـبْـرٌ ولا خَـبَـر

* * *

مـلـك تعــــالى اللّـه بارئـه بالخـــيـــر يـأمـــرنا ويأتمر
مـسـتـعـصمٌ باللّه مـعـتـزم مـسـتـمـسك بالحق مـقـتـدر
سـبق الـشـبـابُ بـه مـراحلنا وأعـــانـه الإلـهـــام والـنـظر
وتـفــيـّـأت بِلِوائهِ عُـصـب وتألّـفـت بفـنـائـه زمـــــر[(1)]
نعم الإمـامـة للشـبـاب فـلا يأس ولا نـكـس ولا حــــذر
جـيـلٌ لزين الجـيـل أسلمـه رب الكنانة ، فـهـو منتـصـر
العـزم والشـورى إذا اجـتـمـعـا فـهـمـا قـضـاء اللّه والقـدر

* * *

يا مـؤمنًا باللّه مـهـتـديًا بك مسجد «العوّام» مشتهر
يا نسج وحـدك فى مـآثره بيـديكَ زينَ القطن والوبر[(2)]
يا جاعل الملح الأجاج رَوِيَّ[(3)] بيـديك طاب الملح والصّبِرُ
يا شـافىَ المرضى وكـافلَهم عيسى على كفيك مستتر
يا حصن مِصْرَ ويا دعامتها أقوى الدفاع مِراسُكَ العسر
يا شـاهدَ التـاريخ فى أثر العينُ أنت ، ومـا مـضى أثر
مـا كـان منسيّاً فـشـهرته بك بعـد هذا اليـوم ينتشر

---

(1) أى استظلت برايته جماعات .
(2) أى أنك زنت القطن والوبر ، كناية عن الوادى والصحراء .
(3) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة ، كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعاقل والمساجد ومعامل النسيج التى افتتحها جلالته فى هذه الرحلة ، والآثار التى زارها .

إنى إلى الصحراء ملتفت وعلى فم الصحراء منتظر
أصغى فأسمع فى جوانبها هزجًا يشيع بها ، وينحصر
آلاء فاروقٍ يرددها نفر ، وينصت حولها نفر
تنمو وتزهر حيث لا شجر ينمو ، وحيث نما بها الشجر
يهفو النزيل لها وينشدها سارون فوق جمالهم سهروا
قوم سماء الله فوقهم وملوكهم لسمائهم صور
إن يذكروا بالحمد راعيهم فهم الرعاة ، وهكذا فطروا
هم فى صراحة أرضهم نشأوا وعلى هدى لألائها ظهروا
بُلغاء ما عرفوا السطور على غير الرمال ، وعاش ما سطروا
حرمتهم الأيام فاصَطبروا ومتى أصابوا نعمة شكروا
فاروق قِبْلَتهُم إذا رحلوا وإليه موئلهم إذا حضروا
يا ملبسًا أجسادهم حللا شرَّفت أَنفسهم بما ادثروا

* * *

المُلْكُ والآفاقُ والقَمَرُ والبحر والبيداء والذِّكَر
أَمَدٌ تفوت العينَ غايته وتموج فى أنحائه الفكر
هى رحلة طالت مفاخرها ويعد فى أَيامها قصر
لو فُرّقت فى الدهر لاتسعت لشعابها الأحقاب والعصر
فى ساحة الفاروق يملأُها ذخر الحياة ، ويحجم الخطر
تنقاد طائرة وسابحة ويطيب منها الورد والصدر [1]

* * *

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة .

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالى زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والإسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

* * *

الروح فى وادى الكنانة حـائم ... وجلال شخصك فى النواظر قائم

ما غاب منك سوى مثال عارض ... يمضى ، ويخلفه المثال الدائم

مَلكُ البلاد المستقل وشعبها ... فى محفليك مساهم ومساهم

أَمَلٌ لعمرك لم تطاوله المنى ... شرفًا ، وحلم ما رآه الحالم

تُزهى به مصر ويزهى الشرق من ... كثب ، ويعجب من صداه العالم

* * *

فاروق مولده ومولد نهضة ... تنمى إليك ، كلاهما متلازم

فإذا أظلك عرشه وجلاله ... فالعدل قسمته ، ونعم القاسم

شِيَمٌ من الخطاب جمّع شملها ... العادل الفطن الكريم الحازم

مَن غير فاروق يصوّر أمةً ... أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم

مَن غير فاروق يبارك نهضة ... منه الرجاء لها ومنه العاصم

من غير فاروق يقلد رتبةً ... والصولجان بكفه والخاتم

من غير فاروق يجل رعية ... حوليه سابقُ مجدها والقادم

من غير فاروق تنصّ يمينه [1] ... علمًا للاستقلال فيه علائم

حياك أو أحيا رجاءك عاهل ... عهدُ البلاد به جديد باسم

ملك كما ترجو لمصر مصدّق ... بشراك ، مرتسم لما هو راسم

غمر البلاد بحبه وولائه ... فولاؤه فرضٌ عليها لازم

---

(١) تنص : أى ترفع .

ركنان للوطنيـــة المثلى همـــا — عرشٌ ، وشعب حوله يتزاحم
فـاهنأ بما بُلِّغت من حبيـهـمـا — واغنم ولاءهمـا فـأنت الغـانم

* * *

تمثالَ سـعـد فى الجزيرة ساهرًا — هيهات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغـيب هنيـهـة — عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأْن لربك فى اُلحياة حكيتـه — فـالظل للغـضن الوريف مـوائم
كم صام سعـد عن مناهل حوضه — ويعبٌّ مغتصب وينهل غاشم
كم بات يرعـــاه ، وليس بمُرْتَع — من خيـره مـا يرتعيـه الحـاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه — والبـحـر دون طريقـه مـتـلاطم
بك زادت الأَهرام ركنًا والتـقت — منهـا على بعـد الزمـان دعـائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها — فى الجيـزة الفيـحـاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا — يَعْـيـا بنقض بنائهن الهـادم
اليـوم آن لجـانبى تاريخـهـا — أَلا يظلهـمـا دخـيل داهم
فى الضفة الأُخرى بقية عسكر — قاومتـهـم جهد المطيق وقاوموا
مصرٌ تضيق ، على اتساع رحابها — بكمـا فـأيكمـا المقيم القائم ؟
لم تستـقـر على دعـامك آخـرًا — إلا لأنك بانتظارك جـــازم
والنصـرُ ردّك للعـدوِّ مـواليًـا — لا أنت راغـمـه ولا هو راغم
سـعـد على النيل الوفى ومثله — سعد على البحر القوى متاخم
مـا أَعجب الصنوين للفرد الذى — أَغْـيـا بصنويه المدى المتـقـادم
أَمـجـاورَ الميناء إنك لم تزل — ميناء مصر ، والخطوب خضارم
متـمكنًا من حيث يُقْبلُ قادم — كَـرمت وفـادته ، ويمنع قـاحم
نعم اختـيـار الموقـفين لحـارس — وطنًا يحـارب دونه ويســالم

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولةً ... يُرْوَى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ بالكلام فأين من ... إيمائها الصوت القوى الناغم ؟
عجبى لشىء فيه منك ملامح ... أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم!
عجبى لشىء فيه منك ملامح ... أن ليس يَخْفِقُ فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة ... والصخر بأسًا يتقيه الصادم
وتشابهت ثَمَّ الأَسارير التى ... قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التى ... ضاق الصنّاع بها وَعَىَّ الراسم
إن لم تصورها اليدان فربما ... خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدّثنا فكلّ محدِّث ... من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظ فدون الوحى من ... معناك - كلّ اللافظين أعاجم
الناس حولك سامع أو ذاكر ... ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم
قف فوق منبرك الجديد فلم يزل ... لك منبر عالى الذرى وقوائم
يصغى إليه العابرون فيقتدى ... داع إلى الحسنى ويخجل آثم
هذا المثال الحىُّ إما حامد ... للعاملين غدًا ، وإما لائم
هذا المثال مؤيِّد من ثابروا ... مُزْرٍ بمن قَصَروا الخطى وتناوموا
خصم لكل مخالف آراءه ... وفعاله وهو القوىُّ الخاصم(١)
جدد لهاتيك الرءوس حياتها ، ... بعض الرءوس وإن حيين جماجم
ما كان تمثالا يماط ستاره ... بل منسكًا للحج فيه محارم
بل تلك جامعةٌ يَؤُمُّ دروسَها ... متعلم سنن الحياة وعالم
تلك الرياح مجاذبات غطائه ... رسل من العرش العلىِّ حوائم (٢)
فاروق أو مزجى الرياح كلاهما ... للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
والغيب يُلْهَمُهُ المليكُ إذا اتّقى ... ويَفُضُّ من فحواه ما هو كاتم

---

(١) الخاصم : الذى يتغلب على خصمه فى الخصومات .

(٢) قبل رفع الستار بأيام جذبته الريح فانكشف ، فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير الاحتفال برفع الستار .

* * *

يا أسبق الأعلام ربك سابق ... فى حيثما استبقت بمصر عظائم

ما قام للفلاح قبل مثاله ... علم ، ولا دُعِيتْ إليه معالم

صعدوا على أكتافه وتسنموا ... أَوج المَنابرِ وهو جاث جاثم

فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه ... حتى كأنك أنت فيهم آدم

شرفًا أبا الفلاح ما استفتحت من ... همم ، وما استتلى بعزمك عازم

* * *

لك لا تزال ولن تزال رسالةٌ ... ما للعظائم إن بدأن خواتم

* * *

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر (١) ... ثناءٌ على الرجل القادر

على رجل زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر

على من يسير بأعماله ... فَيُقْبِلُ فى جحفل زاخر

ومَنْ كلُّ أَيامه صالحا ... ت لحفل بتكريمه عامر

فلا حيرةٌ فيه للمُحتَفى ... ولا حيرة فيه للشاعر

تجيء مدائحه الصادقا ... ت عَفْوَ البديهة والخاطر

فسيانِ إحصاء أَعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أَرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر

وآراؤه فى ثنايا غد ... كرؤية عينيه للحاضر

(١) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩) .

وباطنه فى مــواعــيــده ... كــصــفــحــة عنوانه الظاهر
له شــدة الحق فى بأســه ... تمازجــهــا رقــة الســاحــر
وإنصــافــه مــأمن للعــدَى ... وإخــلاصه عــصــمــة الناصــر
وإقــدامــه فى قــضــاء الفــرو ... ض إقدام مــستبسل صــابر
إذا مــا اطمــأن إلى واجب ... فليس بِوانٍ ولا قــاصــر

* * *

أولى الأمــر طوبى لكم يومكم ... وطوبى لكم ذُكْــرَةُ الذاكــر
فــســيــروا بأوطانكم وانهــجــوا ... بهــا نهج مــبــتكر باكــر
وهاتوا مــدى جــهــدكم تبلغــوا ... مــدى الحــمــد من وطن قــادر
لكم من بنيــه ومن عــرشــه ... مــعــاونة العــارف العــاذر

* * *

عيد الجهاد
«١٣ نوفمبر ١٩٤٠»

حُــيِّــيتَ يا عــيــد الجــهــادْ ... حــيــيت يا يوم المعــادْ
يا يومَ مــصْــرَ ومــا لهــا ... من ناصــرين ، ولا عــتــادْ
عــــزلاء إلا من ســــلا ... حــيــهــا : الرجــاء والاتحــادْ
بهــمــا تصــد الظافــر ... ين ولا تُصَــدُّ ولا تُصــاد
وتقــود أشــتــات الصــعــا ... ب ولا يَلينُ لهــا قــيــاد
وتعــاند الأسَــدَ الهــصــو ... ر ولا يــطــاق لــه عــنــاد
تــلــقــــاه يوم تــزلــزلــت ... من بأســه الســبع الشــداد
والأرض بــيــن يــديــه طــيّــ ... ـعــة الأعــنة والــوهــاد

* * *

حُـيِّـيـتَ يا يومَ الجـهـا ... د ولا سُـؤالَ بِمَ الجـهـاد ؟

كَـلاًّ . ولا من قـائل ... أين الجـحـافل والجـيـاد ؟

جـمـعت بلادٌ أمـرها ... وكـفى بما جـمـعت بلاد

وأراد سـعـد فـانبـرى ... وطنٌ يحـقق مـا أراد

مـا السـيف فى اليـد غـالبًا ... إلا إذا غلب الفـؤاد (١)

* * *

حـيـيت يا يوم الجـهـادْ ... يومَ الجـهـود والاجـتـهـاد

يوم الكـرامـة والجِـلا ... دِ بل ، السـلامـةِ والسـداد

كـم عـاقل فى الاقـتـحـا ... م وجـاهـل فى الارتـداد

ومـحـصِّل فـيـمـا أضـا ... ع ، مُضيِّع فيما استـفـاد (٢)

* * *

وطنى سلمت من الغُـوَا ... ة ولا سلمت من الرشـاد

مـا فى الجـهـاد غـواية ... إن الغـواية فى الرقـاد

وطنى خَـذَلْتَ الخـادعـ ... ـين ولا خَـذَلْتَ ذوى اعـتـقـاد

مـا فى الصـعـاب خـديعـة ... إن الخـديعـة فى المهـاد

وطنى تبـيـنت المُصـا ... رِحَ والمُـداجِـى فـى الـوداد

مـا فى اللهيب خـبـيـثـة ... إن الخـبـيـثـة فى الرمـاد

وطنى فـررتَ من الهـوا ... ن ولا فـررتَ من الجـلاد

مـا كل خطب يُتَّـقى ... أو كل أمن يسـتـزاد

وطنى . ومـا وطنى علىٌّ ... بهـيِّن بين البـلاد

يا ليـتـه مما يهـو ... ن فأستريحَ «على الحيـاد» !

---

(١) ما هنا تعمل عمل «ليس» وتؤدى معناها .

(٢) أى : كثيراً مايكون الاقتحام من العقل ، والارتداد من الجهل ، والكسب فى الإنفاق والخسارة فى الاكتناز وعدم النفقة .

* * *

حاشا لمصر ولي وللسا   دات فيها والسواد
إني نذرت لها دمي   ومُنيّ يضن بها الجواد
وشرعت في ميدانها   قلمي وإن نَفِدَ المداد
وعلمت أن لها غداً   يُرْجَى ، وأمسٍ يستعاد

* * *

شبان مصر تزودوا   لغد ، وبعد غَد ، بزاد
أنتم حماةُ عرينها   ولكم معاقلها تشاد
إنْ ذاد غيركم العدا   فرداً فلا كان الذياد
أَوْ سُدْتُمْ في أمة   ذلَّتْ ففرحتها حداد
من ذا يسود وحوله   وطن على ضيم يساد
لا يَخْجَلَنَّ غدٌ إذا   ما حَلَّ من عيد الجهاد

* * *

إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد في الوادي   كونوا هناكم مورد الصادي
صادٍ إلى الماء وصادٍ إلى   علم لمن يطلبه هاد
هاد كما قد أسفرت شمسكم   بساطع في الجو وقّاد
لولا معاذيري لَحَيَّاكُمُ   مني مُطيفٌ رائحٌ غاد
فإن أكنْ أوفدت شعري لكم   فذاك عندي خير إيفاد
إلى اللقاء المرتجى في غد   تحيتي للحفل والنادي[1]

(١) هذه الأبيات هي تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذي يقيمه أدباء السودان مرة في كل عام .

فى عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة [1]

مــــرت بنا الأيام وثبـــا ... سلمًا كـمـا شـاءت وحـربا
لا أحـــسنت حــــربا ، ولا ... فى السلم طاب السلم غبًا [2]
ضـمنت لجيـشـيـهـا مـعًـا ... غَصْبًا كما اشتهيا وغَلْبا
فـــإذا الحـــوادث أقـــبلت ... أو أدبرت فـــالخلق نُهْـــبَى
الـعـــــام من أعـــــوامـنـا ... يحـوى - جزاه اللّه - حـقْبـا
وثلاث عـــشـــرة حـــجـــة ... قلبت طبـــاق الأرض قلبـــا
سلهــــا عن الدنيـــا ومـــا ... صنعت بهـا شـرقًـا وغـربًا
سلهــــا عن الوادى ومـــا ... صنعت به دفـعًــا وجــذبا
لا ضــــيـــــر بالماضى إذا ... دار الزمـــان فطاب عُــقْــبَى

* * *

فـــــألاً من الذكـــــرى وكم ... فـأل طوى فى الغيب حُجْبا
وهـداية منهـــــا وقـــــد ... تهـديك فى الظلمـاء قطبـا [3]

* * *

يا سـعـدُ يَوْمَك فـاسـتـجب ... قلبًـــا لمن يدعـــوك قلبــــا
جـــــرِّد عـــــزيمتك التى ... أغنت عن الصمصام غربا [4]
وابعث نصــيــحــتك التى ... أغنت عن التــرياق طبــــا

---

(١) ألقيت من محطة الإذاعة المصرية فى ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠ .

(٢) الغب العاقبة .

(٣) إشارة إلى نجم القطب الذى يهدى فى الظلام .

(٤) حدا .

وانشـــر فـــرائدك التى   أَغنت عن العـقـيـان كـسـبـا
هـذا نـذير الشـــر هَبَّــا   وإلى حـمى مـصـر اشـرأَبا
وســرت إلى إفـريقـيــا   عـدوى الجـهـالة من أوربا
طمـعـوا بحـوزة أُمــة   ظَنُّوا لهـا الغـفـلاتِ دأَبا
إن قــيل لا خطرٌ غـفـت   عــينًا وتاهت عنه لبًــا
أو قــيل لا طمعٌ فــلا   طَمَعٌ وقَــرَّتْ مـصـرُ سـربا
أو قــيل يا أُم انهــضى   نهـضت وراحت مـصـر تأبى
تجـرى المخـاوف حـولهـا   وتخـاله الأَمن اسـتـتـبـا

* * *

ياسـعـد أَنت إمـامـهـا   فـاهتف بهـا مـلا وشَـعْـبـا
صَـدَعَ الشـقـاقُ صـفـوفَـهـا   وجـمـعـتـهـا بالأمس حـزبا
فـاجـمع جـوانب رأيهـا   شِـعْبًا على الحسنى فَشعْبا
قـل أَنتـمـو أَعلى يدًا   مَن عـابدى الإنسـان رَّهْبَى
ذلوا فلمـا اسـتـرسلوا   تاهوا [1] بقـيـد الذل عُـجـبـا
وإذا أَتوا عــدد الحـصى   فـرمـالكم أوفى وأَربى
جـدب من الصـحـراء أَغلى من جـمـيم الروض تربا
ظمـآن يشـرب كل من   يُغْـرى بكم أكـلا وشـربا

* * *

وقل اسـتـعـدوا واسلكوا   فى مـفـرق الحـدَّين دربا
لا تُصـغـروا هولا ولا   تسـتكبـروا الأَهوال رعـبـا

(١) تاه يتيه : زها واختال .

وتبــــينوا أين الفــــريق الحـر فـاتخـذوه صـحـبـا
دارُ الـذين ســـبـتــهـم حــرية - هـيـهـات تـسـبى
بنُّوا بمصـــر على العـــدى وعلى الذى يحـتــال خـبـا
وحــذار دعــوى مـعـشـر لـم يـؤمـنـوا بـالحـق ربـا
رحـمــةً عــرفــوا ولا عـرفـوا لغـيـر الشـر حـبـا
القـــدوة العليـــا لـهم وحش على العـدوان شـبـا
عـقـدوا على البـغى العـرى تبت يد البــاغى وتبــا

* * *

يا آل مــصــر تـذكــروا سـعـدًا فـفى التـذكـار قـربى
ى اسـتـعـرت بيـانه فـعلىَّ إن قـصرت عُتْبَى [1]
إلا اللبــاب فـــإننى فى الرأى مـا أخطأت لبـا
ســعـد إذا أمـضى مـضى وإذا دعــاه الهــول لبى

* * *

تحية زعيم راحل [2]

أكبرت فى غيب الزعيم محمد من كان يكبر حاضرًا فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص الزمان مجادة للسيد بن السيد بن السيد
فخر الصعيد، وفخر مصر جميعها بالرأى، والخلق القويم الأيد
من يُرْسِلُ المُثْنى عليه ثناءه مسترسلا فى القول غير مقيد

---

(١) معنى البيتين: أنى استعرت بيان سعد، فإن قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب على. أما لباب المعنى فلا تقصير فيه، لأننى لم أخطئه.

(٢) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا.

جمع القلوب على المديح وإن مضت
نهجين بين مصوّب ومصعّد[1] -

لم تُقض في هذى الديار قضية ومحمدٌ مما قضوه بمبعد
مِلْءُ النديِّ وإن تطامن دقة كم دقة شحذت مضاء مهنّد

* * *

في دارة الفلكى قبلة كوكب يعلو على رصد المنايا الرصّد
تطوى المغارب جِرْمَه ، وشعاعُه متألّقٌ في أَوْجِهِ لم يخمد[2]
أكبرت مطلعه ، ولم يك طالعى في كل حين عنده بالأسعد
ورأيته أقصى وأقرب رؤية فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف سمت السماء ولا علو المقصد
متحرزٌ مما يعاب كأنه متقيِّد المسعى ، ولم يتقيد
شفّت سرائره ، فكل سريرة فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته لم تلق يومًا منه ما لم تعهد

* * *

عَزٌّ الكنانة فيه فهى فجيعة تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءة إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون ما لم يُشْهَد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزوِّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سردًا ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للمهتدين ، وقدوة للمقتدى

---

(١) المصوب : النازل ، وعكسه : المصعد .
(٢) الجِرْم : الجسم ووزنه والأوج : الذروة العليا .

وصراحة الأَخلاق ما اشتملت على
مستغلق فيها ، ولا متأوِّد (١)

والعزة الشماء إلا أَنها ... كالشاهق المخضرّ لا كالجلمد
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحًا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لاتكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عَزٌّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهِمِ قومه والمُنْجِد (٢)
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بينَ مشرَّد ومبدد
للحق ، لا لخبيثة مطوية ... تلقى العداة الرابضين بموعد
ولنصرة الإسلام لا لعصابة ... تسعى إلى الإسلام سَعْىَ المفسد
سمح على ما فيه من غصبية ... سهل ، وإن أَعيا قُوَى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأَخ المتودد
من اكْسُفوردَ ، ولو نماه معشر ... للأَزهرِ المعمور لم تَسْتَبْعد
فيه محافظة ، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غيرَ مقلَّد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سَقَياهُ من أَصليه أَعذب مورد
فإذا بكت مصرٌ فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

رحم الإله محمدًا وأثابه ... فى خلده الباقى ثواب مخلَّد
كان السبيل السرمدىُّ سبيله ... فعليه رضوان الإله السرمد

* * *

---

(١) معوج . (٢) المتهم : النازل للوادى ، والمنجد : الصاعد إلى الهضبة .

على قبر إبراهيم [1]

« . . . إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لأيْسر ما يقال فى هذا الموقف الأليم . . .» :

يا قبرَ إبراهيم مالى — بالبيان هنا يَدانْ
بل فيك تنطلق العيو — ن وفيك ينعقد اللسانْ
ما كنت أحسب أننى — أَلقاك فى هذا المكان
يا من حملتَ إليه أكر — م ما يعز ، وما يصان
جثمانك العف الطهو — ر وقلبك الجم الحنان
وجبينك السمح الذى — ما هان قط ، ولا أَهان
وعزيمةً لم يثنها — غير الأَمانة من عنان
حزنى عليك أَبا خليل — ليس يمحوه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى — وجميل صنعك فى الجنان

ماذا أَقول ؟ ومن يعين على رثائك ، أَو يعان

أغناك فضلك ناطقًا — بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة — ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطرًا — وسلام قومك مجمعان

* * *

(1) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان - رحمه الله - مثلا لعلو الهمة ومكارم الأخلاق .

آه من التراب [1]

أين فى المحـفل «مىّ» يا صحـاب ؟
عـودتنا ها هنا فـصل الخطاب
عـرشُهـا المنبـر مـرفـوع الجناب
مستجيبٌ حين يُدْعى مستجاب
أَين فى المحـفل «مىّ» يا صحـاب ؟

* * *

سـائلوا النخـبـة من رهط الندىّ
أَين مىّ ؟ هل علمـتم أَين مىّ ؟
الحـديث الحلو واللحن الشـجى
والجـبين الحـرّ والوجـه السنىّ
أَين ولى كـوكـبـاه ؟ أين غـاب ؟

* * *

أَسف الـفـن عـلـى تلك الـفـنون
حصدتها ، وهى خضراءُ ، السنون
كلٌّ مـا ضـمـتـه منهن المنون
غـصصٌ مـا هان منهـا لا يهـون
وجـراحـات ، ويأس ، وعـذاب

* * *

شِـيَمٌ غـرٌّ رضـيَّـات عِـذابْ [2]
وحِـجي ينفـذ بالرأى الصـواب
وذكـاءٌ ألمعى كـالشـهـاب

---

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة : مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

(٢) عِذاب بكسر العين :جمع عذبة .

وجـــمـــال قـــدسى لا يعـــاب
كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

كل هذا خـــالدٌ فى صَـــفَـــحـــاتِ
عطراتٍ فى رباها مـــثـــمـــراتِ
إن ذوت فى الروض أوراق النبـــاتِ
رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهراتِ
وقطفنا من جناها المســـتطاب

* * *

من جناها كلِّ حـــسن نشـــتـــهـــيـــه
مـــتـــعـــة الألبـــاب والأرواح فـــيـــه
سـائغ مُـمَيِّـز مِنْ كل شـــبـــيـــه
لم يزل يحـــســـبـــه مَنْ يجـــتنيـــه
مُـفْـرَدَ المنبت مـعـزول السحـاب

* * *

الأَقـــاليم التى تُنْمـــيـــه شَـــتَّى
كل نبت يانع ينجب نبـــتـــا
منْ لغـات طوَّفت فى الأرض حـتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحـــواها كلهـــا اللب العـــجـــاب

* * *

يا لـذاك اللـب من ثروة خِـــصْـبِ
نيِّـــرٍ يقـــبس من حِس وقَلْبِ

بين مـرعًى من ذوى الألبـاب رحبِ
وَغِنًى فـيـه ، وَجُـودٍ مـسـتَـحبِ
كلَمَـا جـاد ازدهى حُـسنًا وطابَ

* * *

طلعـه الناضـر من شـعـر ونثـر
كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر
فله فى العين سـحـر أى سـحـر
وصـدى فى كل نفس وجـواب

* * *

حىٍّ «مـيّـاً» إن مَنْ شـيع مـيـا
منصـفًا حـيـا اللسـان العـربيـا
وجـزى حـواء حـقّـاً سـرمـديا
وجـزى مـيّـاً جـزاء أريحـيـا
للذى أسـدت إلى أم الكتـاب (١)

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغته طبعًا واكتسابا
والذى خـالتـه فى الدنيـا سـرابا
والذى لاقت مـصـابًا فـمـصـابا
من خطوب قـاسـيـات وصـعـاب

* * *

(١) أم الكتاب هى اللغة العربية .

أتُراها بعـــد فـــقـــد الأَبوين
سلمت في الدهر من شـجـو وبَيْن
وأسًى يظلمــهــا ظلم الحــسين
ينطوى فى الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كــالشــمع المذاب

* * *

أَتراها بعـــد صـــمــت وإباءْ
سلمت مِن حســد أَو من غــبــاءْ
ووداد كل مـــا فـــيـــه رياءْ
وعـــداء كل مـــا فـــيـــه افـــتـــراءْ
وسكون كل مـــا فـــيـــه اضطراب

* * *

رحـــمـــة الله على «مىٍّ» خــصـــالا
رحـــمـــة الله على «مىّ» فـــعـــالا
رحـــمـــة الله على «مىّ» جـــمـــالا
رحـــمـــة الله على «مىّ» ســجـــالا
كلمـــا سُــجل فى الطرس كــتـــاب

* * *

تلكُم الطلعــــة مـــا زلت أراها
غـــضـــةً تنشــر أَلوان حـــلاها
بـين آراء أضــــاءت فـى سنـاهـا
وفـــروع تـتـــهـــادىٍ فى دجـــاها
ثم شـــاب الفـــرع والأَصل ، وغـــاب

* * *

غــاب والـزهرة تؤتى الثــمـــراتْ
ثمــرات من تجــاريب الحــيـــاةْ
خــيــر مـًــا يُؤْتى حــصـاد السنواتْ
بعــثـــرتهن الرياح العــاصــفــاتْ
ورمـــتــــهن ترابًا فى خـــراب

* * *

رُدَّ مـــا عندك يا هذا التـــراب
كل لـب عــبــقــرى أو شــبــاب
فى طواياك اغــتــصــاب وانتــهـاب
خلقــا للشــمـس أو شم القــبــاب
خُلِقــا لا لانزواء واحــتــجــاب

* * *

وَيْكَ ! مــا أنت برادٌ مـــا لديك
أضـــيع الآمـــال مـــا ضـــاع عليك
مـجـد «مىّ» غـيـر مـوكـول إليك
مـجـد «مىّ» خـالص من قـبـضـتـيك
ولهـــا من فـــضـلهـــا ألف ثواب

* * *

عام محمد (١)

جَدَّدَ العهد بعد عام محمدٌ   تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلقٌ لا يزال قــدوة جــيـل   بعد جيل ، أَخلِقْ به أن يخلَّد

---

(١) ألقيت فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله .

بـل طـراز مـن المـكـارم بـاق ... كلمـا عـده الكرام تعـدد
ومـعان غـراء هيـهات تُحْصَى ... كثمار الفردوس هيهات تنفد
إنما يُذهب الزمـان فـقـيـدًا ... إن تَقَضَّى الزمـان لم يُتـفـقَّد
ليس يُفنى الزمان مَنْ كُلَّما عسـ ... ـعس ليل سمعت : أين محمد؟
أين من كـان رحـمـةً وهو بأس ... أين من كـان أُمـة وهو مـفـرد
أين من كـان للمسـاكين عـونًا ... وله فى ذؤَابة المجـد مـسند
أين من كـان مُنْيَـةَ المتـمنى ... فى مغيب من الوداد ومشهد
أين من عُـوِّد الإباء صـبـيّـاً ... ولكل من دهره مـا تعـود
أين من كلمـا تقلد امـرًا ... صان فى جيده عرى ما تقلد
أين من كان مرجع القوم فيما ... صدع العزم أيديا [1] فـتبـدد
أين من كـان قولهم فيـه شتى ... والطوايا فى وصـفـه تتـوحـد
أين من كـان قـائدًا وهو فـيـمـا ... نتـقـيـه جنديٌ مـصـر الجند
سـألوا أين أين ؟ وهو قـريب ... منْهُمُ فى جـواره غـيـر مـبـعـد
هو فى كل مـعـهـد يتـراءى ... هو فى كل مـسـمع يتـردد
هو فـيـهم وقـد تغـيب عـامًا ... لا يُرى قاصدًا ، وإن كان يُقصد
رب دان مـجـسـد لا نراه ... وبعـيـد نراه غـيـر مـجـسد [2]

* * *

مـصـر يا أُمـة الخلود المشـيَّـد ... والوفـاء الذى رسـا وتوطد
أنت فى نعـمـة وخيـر عـمـيم ... مـا تعـهدت خـيـر مـا يُتـعـهـد
لك فى الذكـريات كنز رجـاء ... أبـد الـدهـر بابـه لا يوصـد

---

(١) صدعه أيديا : أى حطمه بددا وشتته وبعثره .
(٢) رب قريب ملموس لا يرى لتفاهته ، ورب بعيد غير محسوس نراه للحاجة إليه ولأهميته .

فـاذكـرى الغـابرين وادخـريهم　　لغــرار ينضى وعــزم يشــدد
إنهم مــــهــــدوا الطريق ولولا　　خطوهم فـيه لم يكن بالممـهـد
اذكــرى كلمــا بلغت زهيــدا　　من أمــــانيك أنه كــــان أَزهد
واذكـرى كلمـا بلغت عظيـمـا　　أَن جهد المصرى فى المجد أجهد
إن مـا ضـاء كان بالأمس ظلمـا　　ء وما ابيض كان بالأمس أَسود
والذى فى يديك كــان ســرابا　　زمنًا ثم صـار يُجنى ويحـصـد
وارقـــبى العــالم المطل علينا　　من غــد . إنه جنين ســيــولد
الحـــروب التى تضج وغـــاها　　هى نجوى مـخاضـة تَتصـعـد
إننـا فى يـديه لـعـــبـــة لاه　　إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
مـا مضى من زمـاننا أو سيأتى　　فى يدى ذلك الجنين سيحشد
الجنين الموعــود لا تجـــهلوه　　يا بنى مصر فهر للجهل مُرصد
هو حى ، إن لم يكن قد تسمّى　　باسـمـه فى قـرابه فَكَأَنْ قَدْ [1]

فــاجـمـعـوا عُـدّةً من الأمس تُرْضَى
واجـمـعـوا عُـدّة من الغـد تُحْـمَـد

أنــتـم فــى كـنـانـة الله أَهـل　　أَن تصدوا السهام وهى تسدد
ولكم من صـيـانة الله شــروى　　مـا تصـونون من فـخار وسؤدد
كل حق لكم فـغـيـر مـضـاع　　مـا رعيتم حقّاً لمثل محـمـد

* * *

(١) «كأنْ قد» تعبير معناه أن الأمر كأنما كان وتم .

الشهيد معاوية

. . . احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل - رحمه الله - فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوّض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :

أَجل هذه ذكرى الشهيدِ معاوية
فيا لكِ من ذكرَى على النفسِ قاسية

أجل هذه ذكراهُ لا يومُ عُرْسه ... ولا يومُ تكريم ، ودنياهُ باقية
فما أقصرَ الدنيا التى طوّل الضنى ... أصائلَه فيها ، وأشقَى لياليه
وما أضيعَ الآمالَ آمالَ من رأوْا ... مطالعَه فى مشرق النورِ عالية
ومن أيقنوا أَن الهلالَ الذى بدا ... علىَ الأفق أحرى أَن يعمَّ نواحيه
بكائى عليه من فؤَاد مفجّع ... ومن مقلة ما شوهدَتْ قطُّ باكية
بكائى على ذاكَ الشبابِ الّذى ذوى ... وأغصانُه تَخْتالُ فىَ الروضِ نامية
بكائى على ما أثمرتْ وهْىَ غضةٌ ... وما وعدتنا ، وهىَ فى الغيبِ ماضية
فضائلُ منها نخبةٌ أزهرتْ لنا ... لِمامًا ، وأُخرى لم تَزلْ فيه خافية

* * *

تبينتُ فيه الخلدَ يوم رأيتُه ... ومـا بان لى أن المنيةَ آتية
وما بانَ لى أنى أُطالع سيرةً ... خَواتيمُها من بدئها جدُّ دانية
وأن اسمه الموعودَ فى كل مقولٍ ... سيسمَعُه الناعونَ من فَمِ ناعية
أجل هذه ذكراهُ يا نفس فاذكرى ... فجيعتنا فيه ، وما أنت ناسية

أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفى   عليه شآبيبَ[1] المدامع دامية
إذا قَصرت أيامُ من نرتجيهم
فيا طولَ حزنِ النفسِ والنفسُ راجية
ويا طولَ حزنِ النفس وهى منيبةٌ
إلى اليأس من عجزٍ بها ، وهْى آبية
فيا يومَ ذكراهُ سنلقاكَ كلما   رجعتَ إلينا ، والضمائرُ صاغية
ويا عارفيه لا تضِنوا بذكره
ففى الذكر رُجعى من يد الموت ناجية
أَعيروه بالتّذكارِ ما ضنَّ دهرهُ   به عيشةً فى مُقبلِ العمرِ راضية
وزيدوا النفيسَ النَزرَ من ثمراتهِ   بتكرارها فى القلب أُولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كُثْرًا فباركوا   معانِيَها حُبًا ، ووفّوا معانيَه
عليه سلامٌ لا يزالُ يعيدُه   ويبديهِ شادٍ فى الديار وشادية

* * *

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر[2]   ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق فى تاريخه ،   الملبس الماضى لباس الحاضر
الناقد الأنباءَ نقد صيارف ،   الوازنِ الآراء وزن جواهر
المستَعين على السياسة بالحجى   والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت   يومًا لمنتقم ولا لمناظر
الدارس الأيامَ درس مجرب   يلقاه باطن سرها كالظاهر

(١) جمع شؤبوب ، وهو دفعة المطر .
(٢) هو فقيد الكتابة والصحافة ، المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، صاحب «البلاغ» .

الصابر المزجى الخطوبَ بصبره حتى يَزُلْنَ ، ونِعْم أجرُ الصابر
الباذلِ الدنيا علي علم بها في اليسر والإعسار ، بذل مسافر
المستعزَ بوحدة الأسد الذى يأبى التجمع فى القطيع النافر
الراسخ الجم الوقار ، بغير ما عنت يصيب ملالة من زائر
الصامت النزر الكلام بغير ما حَصَر يعيب ، ولا كَلالةِ خاطر
الوادع السهل الطباع بغير ما سَلَس لباغ ، أو مهابة آمر
الصاحب المبقى علىَ أصحابه ما بين واف منهم أو غادر
الوالد البر الرفيق بِوُلْدِه وبآله رِفْقَ العليم الشاعر
الثائر الوطنى فى ميدانه عجبى له من مستقر ثائر
الصارم الماضى السلاح وعنده بعد ارتداد السيف عتبى عاذر
عرف الحقائق فاستراح جنانه من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده علم على بعد ، وعلم معاشر
كم مرَّ من يوم ضحوك بيننا أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا [1] معاً فى حلبة عزت على غير الطِمِرِ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا نعم العتاد لذاكر ولعابر
ذكرى القشيب من الشباب تزينها ذكرى المشيب من الجهاد الظافر
عهدان من عمْرين لو نُسجا معًا لم تدر أَيهما مكان الآخر

* * *

(١) أى : قلمانا .

يا يوم منعـاه سـبـقت بمنذر   فى الصدر من وحى الهواجس صادر
يومٌ لمست النحس قبل صباحه   وطويت فيه على الهموم ضمائرى
ومشى النهار إلىَّ منقبض الضحى   كالليل ، مشية مستكين عاثر
حُيرت فيه فحين زالت حيرتى   زالت بأفـدح من ظنون الحـائر
بذهاب نابغـة ومصـرع غـالب   وختـام عـهـد بالعظائم عـامـر
وفجيعة لا كالفجائع فى أخ   وزمـيـل أَقــلام وصنو منابر
تمضى السنون وفى الصحائف صفحة
تبـيض فـخـرًا ، وافـتـقـاد محـابر
ما كان خط مداده فى طرسها   إلا بياض جبينها المتباشر
أَسفى عليها وهى لابسةٌ له   ثوب الحداد من البياض الشاغر
وعـــزيزةٌ للنابغين نظائر   فى الشرق تتلى بعدهم بنظائر
فإذا بكى الباكى عليه فإنما   يُذرِّى الدموع على عزيز نادر
وإذا جزيناه الوفاء فبعض ما   وفّى الحقوق لحاضر ولغابر
إن الذى حفظ العصور بذكره   حقٌّ له ذكـرى الثناء العطار
وتراث عبد القادر الباقى لنا   فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر

* * *

هنا وهناك

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمى بالجزيرة [1] وقـفـتى فى المقـرن
حلمـان حظهـمـا خيـا لا دون حـظ الأعـين
مـا دمت بينهـا فـمـا أنا سـائلٌ عن مـسكنى
وإذا التـذكـر عـاد بى عطف الجـديد فـردّنى
يا جـيـرة «النيل» المبا رك : كلُّ نيل مـوطنى
وله سـمىٌّ فى الصحـا فـة مـعـرب لم يلحن [2]
حـييت فـيـه سـميَّـهُ وحـمـدت فـيـه مـأمنى

* * *

صوت السودان

صوت [3] من السودان أسـ ـمـعنى بمصر فسـرَّنى
تهـفـو له الأسـمـاع صـا غـيـةً ولم يسـتـأذن
فـيـه بشـاشـة وامق ومـبـشِّـرٍ ومـؤمِّن
لولا حـفـاوته الكريمة مـا علمت بأننى [4]

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة ، والمقرن هو حديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين .
(٢) السمى هو من يحمل الاسم نفسه ، ويقصد أن لنهر النيل سميا فى الصحافة هو صحيفة النيل .
(٣) إشارة إلى صحيفة «صوت السودان» الغراء من أكبر صحف الخرطوم .
(٤) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا نجرى على مذهبهم فيه .

فـارقت مـن مــصــر الجــديدة ذات يوم مــسكنى

شكراً لـه صــوتا تَبـ ـين من لســان بيّن

مــســتلهم لغــة القلو ب مــتــرجم بالأعين

شــمل العــروبة كلهـا وسـرى إلىّ فـخـصنى

مـاذا أقـول وقـد سُبـقـ ـت بكل قــول ممكن

قِـدَم العـهـودِ أَحَبُّ لى من بدعــة المتــفنن

من كــان ديدنه الصنا عـة فـالسليـقـة ديدنى

* * *

شعر الأسود

كم هازلٍ بالشـعـر جـهـده

يهــذى بـه ويعـاف جـده

ما الشعر للنسناس وحده

كم ألـهم التبـيـان أُسـده

* * *

القمر والظلام

لا أوثر القــمـراء فى حـسنهـا على الدجى ، والطرف فيه يحوم

سنـاك يا بـدر يرينـى الثــرى وظلمــة الليل ترينى النجـوم

* * *

صداح الأثير [1]

مــلأَ الآفــاق صــداح الأَثيــر لا فضاءَ اليومَ . بل صوتٌ وَنورْ
لك من كل فــضــاءٍ شــاسع حــيـثـمـا يممتَ ، داعٍ وبَشـيـرْ
مـا صـفـاء الجـو إن فـتـشـتـه غــيــر أَصــداء حــواليك تمور
لَجَبٌ لكنَّهُ مــســتــأْذنٌ يطرق الـسـمع بسلطان قــدير
أَو هي الأرواح إن قلت احــضــرى
حــضــرت ، أو شئت أَعـيـاها الحـضـور
قــيل أَمــواج . فــقلنا وبحــور من مــعــان وبيــان وشــعــور
تركب الأَلبـابُ فـيـهـا سـفـنًا سـبّـقـا بين طويل وقـصـيـر
حــملت من كل زاد ، وقَــرَتْ كل غــاد ، ووعت كل أثيــر [2]
ولــهــا فى كل يوم مــــدد يلتــقى الأول فــيــه والأخـيـر

* * *

كــان فــرعــون له مــجلســه وهو ذو الصـرح المعلّي والسـرير
ولـنـا فـى كـل دار مــجلس يـسـع الـعــالَم أيان يـدور
هـو ناد لـك ، أو مــدرســة أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غـلـب الـوهَـم الـذى زيـنـه فى الأساطير خيـالٌ مستطير
دعــوة المارد إن قــيــست إلى دعــوة المذياع ظن وغــرور
بورك الـعـلـم لعــمــرى إنه من صـفـات الله ، والله قـدير
ربما أَســمــعنا فى غــده نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

---

(١) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(٢) الأثير هنا بمعنى المأثور ، وهو المفضل المنتقى .

مُسْمعَ العالم فى عاصمة | تسبح الدنيا إليها وتطير
لا يَقرُّ الدهر إن مادت فإن | سكنت فالدهر حوليها قرير
بنيت حينًا على البأس وما | رصدته اليوم إلا لمغير
جمعت أوصالها حريةٌ | يستوى فيها قليل وكثير
وخصيم الأمس من أَعدائها | هو فى معمعة اليوم نصير
كلهم ، والأمر شورى بينهم ، | مستجير فى حماه ومجير

* * *

عامك الثالث أَم شرخ الصبا ؟ | أنت فى مهدك جبار جسور
لستَ بالحبْو خبيراً إنما | أنت بالوثب على الأفق خبير
راكبُ الريح إذا قيس إلى | خطوك الوانى سلحفاة كسير
حدّث الدنيا حديث الضاد من | ساحة رتَّل فيها شِكْسبير
وأَعِدْهُ ساريًا حيث سرى | زمنًا فى مغرب الشمس المنير
طالما رنت على آفاقه | نغمات من نظيم ونثير
من رُبا أندلس حينًا ومن | قمم الأَطلس حينًا والثغور
هاتها فى نسق موصولة | يلتقى «بيرون» فيها وجرير [1]

* * *

ناقل السر وما أعجبه | فى رحاب الكون من سر جهير
تسمع القطبين ضدين كما | يسمع النجوى سميرٌ من سمير
عصب الأَنساب يا هذا الأثير
أنت فى الأرض ، وفى الكون الكبير
كلنا فى رحبه عائلة | حين تسرى أَنت أو حين تسير

(١) هو الشاعر الإنجليزى الشهير اللورد بيرون . وجرير بن عطية الشاعر : الأموى الشهير .

تنظم القـربى على طول المدى   من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عـجـبى من عـالم تجـمـعـه   أُذنٌ - كم فـيـه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلم معًا   رب حــرب هى للسلم عــبــور
أنت بالصـدق كـفـيل أَن ترى   أُمم الأرض إلى الحق تصـيــر
يملك اللبَّ حليـفًــا راضـيًــا   مَنْ له فى دولة السـمع سـفـير

* * *

إلى «المستمع العربى» بلندن [1]

دعوت إلى حق وأَسمعت واعيًا   فُحيِّيتَ مدعوا ، وحييت داعيا
وآثرت للعرب اللسان الذى به   تنزَّل وحي الله للعــرب هاديا
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم   فتى عربيًا واضح الصوت عاليا
أصـاخـوا فلم يسـتنكروا القـول عـجـمـة   ولم يســمــعــوا منه لســانًا مـداجــيــا
إذا الحر ناجَى الحر فَلْيُلْقِ قوله   صريحاً ، ولا يومئ إليـه مواريا
على ذاك يمضى «اللندنى» محدثا   فيصغى إليه «القاهرى» مواليًا
ويصغى ابن بغداد إليه محدثًا   وينقل عنه شــعب مكة راويا
وفى جلق [2] واع ، وفى القدس شاخص   وفى برقــة شــاد يجــاوب شــاديا
حقائق فى شرق البلاد وغربها   يساجِّل فيها الحاضرون البواديا [3]
يؤلف شــمليــهم على البــعــد أَنهم   أَبَوْا أَن يطيـعـوا فى ســوى الحق راعـيـا

---

(١) اذيعت فى مطلع العام الثانى لمجلة «المستمع العربى» التى تصـدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية .
(٢) اسم من أسماء دمشق .   (٣) الحاضرون هم سكان الحواضر .

وأنهمُ للظالمين بمرصد ... طغاةً على من يحكم الناس طاغيا
وأن الذى أوصى به الشرق بادئًا ... تواصى به الأحرار فى الغرب تاليا
فيا لك من حرية جمعتهما ... إلى نسب عال عليه تلاقيا
وما عصبة الأحرار إلا أخوة ... إذا اشترك القطبان فيها تآخيا
فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له ... عدوًا لآمال الشعوب معاديا
ولا زال هذا الشرق بالحق آمرًا ... ولا زال هذا الشرق بالحق ناهيا

* * *

إلى «مسمع العربِ» الكرام تحية ... أُحيى بها عامًا من العمر ثانيا
أرى لك فى سن الفطام شبيبة ... تسابق فى العام القرون الخواليا
وألمح من بشراك طالع مولد ... تلاقيه أبراج السعود حوانيا
سبقتَ ركاب النصر حتى كأنما ... خففت لتلقاه على القرب آتيا
وأتممت حولا واحدًا فتحوّلت ... مخاوف أقوام فلاحت أمانيا [1]

فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفًا
إذا أسمعَ الضليلَ أقبل ناجيا

تبلبلت الأسماع حينًا ، وأطبقت ... صروف قضاء ظنه القوم قاضيا
وهيهات ما كان الرجاء مغيَّبًا ... لمن رامه ، كلا ولا الأمر خافيا
يقينى الذى لم يطرق الشك سمعه ... سحابةَ يوم أن للحق واقيا [2]
وأن الذى خالوه صرعةَ هالك ... نذيرٌ إذا ما اشتد أيقظ غافيا
وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا ... على الساهر الجهد المكتم باديا
توثب للعدوان فليمضِ واثبًا ... على غرةٍ منه لينقضَّ هاويا

(١) اتفق فى إبان الاحتفال بعام المجلة الثانى أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية .

(٢) كانت أحاديث العقاد دواما تبشر المحور النازى بالهزيمة ، حتى وهو فى أوج انتصاراته .

* * *

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى   فسلنى غدًا عنها ، وما أنت ناسيا

سيدْبر شر كان بالأَمس مقبلا   ويقبل خير كان بالأَمس نائيا

ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعًا

ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا

كفيلى بما أَنبأت صدق رويَّة   ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا

فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلةً   ولا خدعت يومًا وفيّاً موافيا

غدًا ، فانتظرنى باليقين إلى غد   وهاك التحايا قبله والتهانيا

* * *

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب   إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أَعجب إلا من راغب فى ازدياد !

ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ   عاطل لا يزاد بالتعداد

فالزمان المريح تكرار شىءٍ   واحد واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا   يكذب ما شاء ولا يستحى

هذا هو التاريخ لو أَننى   صورته يومًا على المسرح !

* * *

النقد

أعطيتهم لؤلؤاً حراً فحين رأوا ... صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !

وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا ... خُريزةً فيه قالوا : أكرم الناس

* * *

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا

وإن لم تخفه أكرموك عن الظن

فإن شئت هَبْهم ألفَ عين ، وإن تشأ

فدعهم بلا عين تراك ولا أُذن

* * *

رأى الناس

من عوّد الناس خيرًا طالبوه به ... كأنه الدّين يُلوى بالمعاذير

ومن تعقّبهم شراً فأمهلهم ... يومًا تقبّل منهم أجر مشكور

لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر ... وما لهم قط من حكم وتقدير

* * *

بين همّ وسآمة

أتهتم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة ... إليك فما تخليك يومًا من الهم

أليس لها هَمٌّ ؟ فهاتيك خلة (١) ... صداقتها أضنى من الهم للجسم

وما بين هم دائم أو سآمة ... خيار لمختار وحكم لذى حكم

فخذها على علاتها والق عيشها ... شقيّاً بعلم ، أو شقيّاً بلا علم

(١) الخلة هى الخليلة والصديقة .

الطيش والحزم

الطيش أَن تعمل ما تشتهى .. وقد يساوى النفعَ فيه الضرر
والحزم أَن تحذر ما تتقى وقلما يغنيك فيه الحذر
كُفؤَانِ إن وازنت حظيهما ...
يا صاح . فاختر منهما ما حضر !

* * *

يا كتبى

فى ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة فى مجلد واحد قصيدة بهذا العنوان ، جاء منها هذه الأبيات :

يا كتبى أشكوا ولا أَغضب ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتنى حسرة هيهات لا تُنْسى ولا تذهب
يا كتبى أَلبست جلدى الضنى لم يغن عنى جلدك المُذْهَبُ
كم ليلةٍ سوداءَ قضيتُها سهرانَ حتى أدبر الكوكب
كأنننىَ ألمح تحت الدجى جماجم للموتى بدت تخطب (1)
والناس إما غارق فى الكرى أو غارقٌ فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه ، فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله بيومه الماضى وما يُعْقبُ
ينتفع المرء بما يقتنى وأنت لا جدوَى ولا مأْرَب
إلا الأحاديث وإلا المنى وخبرةٌ صاحبها متعبُ

* * *

(1) الكتب فى الغالب موتى يتكلمون ، فإذا قرأت فيها فكأنك تصغى إلى جماجم تتكلم .

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لا رحم الرحمن فيمن مضى　　من علم العالم أن يكتبوا

* * *

والقصيدة الجديدة فى هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة ، وهذه هى :

شكوتها والعمر فى فجره　　فكيف بى لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صاحتها . . .　　تلك التى تُشْكى ولا تغضب
تلك التى قلت لها مرة　　والقلب دام والحشا ملهب
«يا كتبى أورثتنى حسرة　　هيهات لا تنسى ولا تذهب»
«ياكتبى ألبست جلدى الضنى　　لم يغن عنى جلدك المذهب»
فالآن يا كُتْبى تعالىْ لمن　　أخبثُ شىء عنده طيب
ما أنت شر من عناء المنى　　وهى التى فى صدقها تكذب
ما أنت أقسى من شقاء الهوى　　وهو الذى فى لهوه يتعب
ما أنت أغلى ثمنًا ، إن غلا　　من جوهر يكنز أو يعطب
ما أنت فى سكر وفى متعة　　أحْلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر　　يسبق فينا «الدور» أو يعقب
غدًا سنمسى كلنا ما لنا　　فى العيش إلا رَفُّك المُترِبُ
فليت لى إذ أنا تحت الثرى　　جمجمة ثرثارة تخطب
رهطاً من القراء يرضوننى　　رضاى عن بلواك إذ أغضب
يا كتبى ما شئت فلتحسبى　　أو شاء قرائى فليحسبوا

* * *

عجز أو قدرة

علمينى كيف لم تضطربى　　بين أَسماء الأَقاصى والأَدانى
أَنا لـو لاقــيـت أُخــرى مــرة
خفت أن يخلط باسمين لسانى
الغوانى فى حجاب دائم . . .　　عـبث كل سـفـور للغـوانى
قـدرة فـيـهن أَم عـجـز طغى　　أَم هما فى لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد فى حاضرها　　نَسْيُها مَنْ غاب عنها كلَّ آن

جواب جميل

قال جميل ابن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهــا النوام ويحكُمُ هُبُّــوا　　أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ ؟

وأجيب بلسان أَحد النوام :

بربك دعنا راقــدين فلو درى　　بنا الحب لم يرقد لنا أَبدًا جنب
وسل راقـدى الأجـداث [1] عنه فإنهم
مـجـيـبـوك عن علم بمن قـتـل الحب !

* * *

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـا الأمـوات ويحكم هبـوا　　أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

---

(١) الأجداث هى القبور .

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مــــزعج الموتى فلو كنت قـــادرًا
على أن تَهُبَّ اليـوم من صـرعـة هبـوا

ولستَ إلى أن يُسـمَعَ الصورُ سـامـعًا
هنا سـر مـقـتـول يبـوح به صنب !

* * *

الفقير

ثروة المرء بما يطلبــــه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلبًا يطمح بالعين إليه
والذى أَفــقـر منه طالبٌ وُدَّ قلبٍ مـــا له وُدٌّ لديه

* * *

ويلنا

من غـلا عنده السرور رخيص كاسد السوق فى كبار الأمور
والذى يستــحق كل ســرور عــجـبًـا يزدرى بكل سـرور !
إن غـلا عندنا النعيم رخصنا ويلنا ويلنا بدار الغـــرور

* * *

سيان

إن قـــيل بالحق أو البـــهـــتـــان
دعـــهم يقـــولون ، وقل ســيـــان !
سـيـان مـهـمـا افـتـرق الضـدان
سـيـان مـهـمـا اختلف الخـصـمـان

سـيـان أَلفٌ هى أو أَلفان
سـيـان بيدٌ هى أو مغان (1)
سـيـان نور أو ظلام فان
سـيـان من يلهو ومن يعانى
قلها ببرهان ولا برهان
وأَنت أنت أَحكم الزمان
وإن تَصَدَّوْا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

* * *

أتمنى

أتمنى يومًا لو أن حياتى تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى لو تعلمت كيف أَن أَتمنى
أَتمنى لو علمتنى الليالى باطل الأَمر قبل أن أَتمنى
منية لو تحققت لتساوى ما تملكته وما أتمنى

* * *

الصِّرفُ والمزيج

رب ما بالنا نغصُّ بأَحلى ما شربنا وفيم يا رب يحلو ؟
رب والعيشُ فيه حلو ومرٌّ لم لا يمحضان والأَمر سهل؟
لم لا يصفوان فالشَّهد شَهد حين يعطى العبادَ والخلُّ خَلُّ
إنَّ خلاً يشوب شهدًا ضلال ولشهدٌ يشوبُ خَلاً أَضل !

---

(1) البيد : الصحارى والمغانى : الحدائق .

خداع النفس

يقول وما قضى عجبًا　　فتى يخبط فى حدسه
أيخدع نفسه رجل　　له عينان فى رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان !　　وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا　　ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود　　وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياءَ إذا ما　　مس كلبًا أحاله إنسانا

ولم يقل :

إن للحظ صيرفيّاً أريبًا　　يقتفى كِيمياءَهُ أحيانا

* * *

جنة الخيام

رغيفُ خبزٍ ووجهٌ　　حلوٌ، وكأس مدام
وتلك جنة عدنٍ　　فى مذهب الخيام [1]

* * *

قالوا : ونودى يومًا　　ما تشتهى فى يديكا
دع مطلبًا منه فردًا　　والباقيان لديكا

---

1) عمر الخيام : الشاعر الفيلسوف الفارسى ، وله رباعية بهذا المعنى .

فحار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منير إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناها أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها فمال عنها كظيما :
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا فناداه صوت يقول فى غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق :

* * *

«أتلك جنة خلد تهذى بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتدّ وهى جحيم ؟»

* * *

بيجو

« . . . صور كثيرة بقيت في خلدى من الإسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ .

وستبقى ما قدر لها البقاء .

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى «بيجو» الذى فقدناه هناك .

وإنى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير . . فكم من مبجَّل بينهم ولا حقَّ له فى أكثر من العصا . وكم من محقَّر بينهم ولا ظُلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار .

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح ، أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أيامًا فى القاهرة وأيامًا فى الإسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ، ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى

القاهرة وأَن أعود إليه كل أسبوع . ولكنّ المخلوق الأَمين الوفى أَرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الإسكندرية وكلما رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية . وزاده إصرارًا على الصيام أَننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى «فى عالم السدود والقيود» .

والشيخ أحمد حمزة كما علم أَولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يَقْرَبُها إلا على مسافة أشبار . وبيجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ، ما هو إلا أَن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : «يا شيخ أحمد» ! فإذا بيجو تحت أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أَن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز . ثم أصابه فى الإسكندرية ذلك المرض الأَليم الذى كان فاشيًا فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر وعلمت أَن الأَمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكانًا أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه .

وإني لفي ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب حجرتي وخدش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعًا في ركنه يرفع إليّ رأسه بجهد ثقيل . وينظر إليّ نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معاني الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار . أحس المسكين وطأة الموت فتحامل على نفسه وخطا من حجرته إلى باب حجرتي وجلس هنا يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد على النظر والسكوت .

كان اليوم يوم أحد . ولكننا بحثنا عن الطبيب في كل مظنة لوجوده حتى وُجِد ، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه وآله في ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذي تعلق به وعطف عليه ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التي لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول ، ولكني لا أحسبني ناسيًا ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل ، يقول بها كل ما تقوله عينٌ خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقني ولا يحسب ما كان فيه عذرًا كافيًا لإقلاق صديقه .

ومن شهد هذا المنظر مرّة في حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظًّا من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيدًا من الحيوان . بل يقربه منه غاية التقريب . . .»

* * *

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدّمة تفتقر إلى تتمة من مقال آخر نشر في الرسالة أيضاً بعنوان «كلبي بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

« . . . أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إليّ ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى ، ولا يدرى أنني أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل ما يدريه أنني جالس في هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان في البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففي كل مكان في البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألاعيبه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوي على مكانه بجانبى ، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة وأحييه بعبارات التودد والمساجلة . . . ينتظر منى ذلك في كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لا يدرى ما يصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال صاحبى لا ينادينى ولا يجيبنى ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلّما تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التربيت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى ييأس ويسأم فيولى وجهه شطر ألعوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه

ولا يفرضـها أَحـد عليـه ، وأَولها حـراسـة البـاب والعـواء على من يصعدون السلم أو يهَبطونه .

وقـد تبـعنى اليـوم إلى المكتب ونظر إلىّ قليـلاً ثم غـادر المكان الملعون يائسًـا عـابسًا دون أَن يلح فى الانتظار والمناورة . لأَنه تعلم بالمرانة الطويلة أَن الانتظار فى هذا المكان لا يفـيـد . وأَن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأَوراق بغير تدبر ولا تأمل ولا إطالة . والحق مـعـه حـتى فى آراء الأناسـى العـقـلاء الراشدين .

وقـد أردت اليـوم أن أدهشـه وأخلف عـادته فـرفـعت رأْسى من الورق فى بعض جيئاته وصحت به مناديًا : بيجو ! بيجو ! تعال ! إن كـتابتى اليوم تعنيك . ألا تريد أَن تقرأ ما كـتبت ؟ فوجم ولم يكد يصـدق أُذنيـه . وتردد لحظة ثم قـفـز إلى الكرسى فـالمكتب حيث الورق الذى أَخط عليه هذا المقـال . كأنه يريد حقّاً أَن يقرأَه ويستطلع ما فيه ، وكأَنه لا يفضل بالعقل والرشد أُولئك الآدميين الذين يعنيهم ما يكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأَول وهلة .

ولكنه ما لبث أَن أخافنى من أَسلوبه فى القراءة والمطالعة .

لأَنه هو والتـمـزيق فى عـرفـه شىء واحـد ، وهل هو بدع فى أُسلوبه وهذا شـأْن كـثـيـر من الآدمـيين الذين أَكـتـب عنهم ؟؟!

فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أَسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب ! .

ويجب أَن أعترف للقراء بأَن كلبى «بيجو» ليس بكلبى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديقى العزيز «فيفى» الذى لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين [1] . ولا أخاله إلا مطالبى به قريبًا بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أًصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد .

والأَصل فى المصائب أَن تجمع بين الأَصدقاء لا أَن تفرق بينهما كما افترق فيفى وصديقه بيجو . ولكن اللوم فى هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها – أى على إفراطه فى الصداقة لا على تقصيره فيها – فمعاذ الله أَن يتهم كلب بخيانة الأَصدقاء .

كان بيجو يرى «فيفى» على سريره ساكنًا من التعب والإعياء فلا يحسب أَن شيئًا تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى المواثبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلا أَهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أَقبل الطبيب وصرخ (فيفى) من مقاربته وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأَطفال من جميع الأَطباء فما هى إلا لمحة كأَسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب (بيجو) توشك أَن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه

---

(١) هو مونق ، ابن الأستاذ حافظ جلال وكانوا يلقبونه «فيفى» .

اتقاءً لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه العزيز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه .

لهذا عوقب (بيجو) على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه فى أثناء توعكه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته وحراسته أيام منفاه حتى تنجلى الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح (بيجو) شخصية من شخصيات البيت المعدودة . وحتى فرض على نفسه واجباتٍ وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت قاطعته فيها أو عوّقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقًا عاطلا لا يصلح لعمل ولا يؤتمن على واجب . . . عرف الفرق بين جرس التليفون وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بَعَضِّه والوثوب عليه .

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أَسرع إلى الباب ولم يفعل كما تعوّد أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ، ولكنَّ تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاولة الأعمال والواجبات .

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها عليه أحد أنه لا يدع إنسانًا ولا حيوانًا يصعد السلم إلا أدركه بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلىَّ ولا يزال

يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . ألأَجل الطعام يهش لى (بيجو) هذه الهشاشة ويرعانى هذه الرعَاية ؟ أنا أَود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أَسباب وفائه وتعلقه بأَصحابه . ولكن لا شك أيضًا فى أَن الكلاب تفهم للمودة أسبابًا غير الإطعام وتدرك معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأَوضح دليل على ذلك أَن (بيجو) يعتبر نفسه تابعًا لمولاه (فيفى) ولا يعتبر نفسه تابعًا لأَبيه أو خادم أَبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما (فيفى) فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه أو يضع إصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لا يقابل الأَذى بمثله ولا يفتأ متعلقًا بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى (فيفى) مع أَبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أَن يخف (بيجو) إلى الأَب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت إلى (فيفى) العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويئنّ أنينًا من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهدًا شديدًا فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أَرهقه بتحياته ومجاملاته . وكنا سبعةً منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأَخ له

أَديب جمّ الإطلاع وصديق مهذب من أُدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأَمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآماق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والجاراة غير الصلة النفسية التى لا شأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعًا للطفل ولا يحسب نفسه تابعًا لأَبيه ؟ إنه لا يفقه أَنهم اهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيره ، ولكنه قد يفقه أَنه ندُّه وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصبيانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب .

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أَن (بيجو) لا يطيق (الطاهى) أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديدًا له بالعقوبة والإقصاء . . . وهو مع هذا يألف فراش المنزل (محمدًا) ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فَلِمَ كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ؟! كلاهما يقدِّم له الطعام ، ويزيد صديقه (محمد) بتجريعه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أَحيانًا وهو يمقته وينفر منه أشد النفور . غير أَن الطاهى (أحمد حمزة) يتحاشى (بيجو) خوفًا من النجاسة فيشعر (بيجو) بِجَفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريع والغصص من زميله لأَنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه (للمعانى) الفكرية أنك إذا لمسته بالعصا وهو غافل

عن رؤيتها فهو لا يبالى ولا يحفل ولا يحسبك غاضبًا أو قاصدًا لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التى تخوّفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه ، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب . . .

والخلاصة أن (بيجو) مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يمقتها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جليلة وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس : إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجع من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها عاشرت الإنسان طويلا فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار (الفاشية) . إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يُدّحِضُ ذلك أيما إدحاض ، لأنه تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد (بيجو) بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم (بافلوف) صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها فى بعض الأطفال ، فجعلوا يقرنون الشىء المخيف بالشىء المحبوب ليعوّدوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه ، ويقرنون الشىء المرذول الذى يحبه الطفل بالشىء المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفوًا بغير أمر ولا إلحاح .

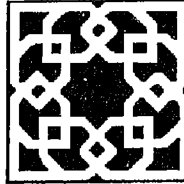
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانو يقيدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس للمنزل حديقة واسعة أُطلقه فيها أَصبحت السلسلة والطوق من أَحب الأَشياء إليه وأَدعاهما إلى طربه وابتهاجه . . . لأَنه تعوّد كلما ربط بالسلسلة والطوق أَن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المنذورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أُخرى يشارك فى تفسيرها وتفهمها وفضائل شتى يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن فى بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذى نخشى أَن نسطو عليه ، لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو (بيجو) لا أَرانى بحاجة إلى اعتذار من الحزن والوفاء لذكراه . فإنه لم يخطئ فى وفائه ولم يخطىء فى خِلقته . ولم يخلق إنسانًا فدنس الإنسانية بالغدر ، ولكنه خلق كلبًا فشرّف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزنًا على بيجو تفيض الدموع
حزنًا على بيجو تثور الضلوع
حزنًا عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزنًا بعد ذاك الوَلوع
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

* * *

حزنًا عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مسامرى حينًا ومستقبلى
وسابقى حينًا إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أَسف
أَلا يصيب اليوم منها الهدف . . .
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الأَلباب والأَلسن
وكلما فوجئت فى مأمنى

وكلمــا اطمــأَننت فى مــسكنى
مــســتــغنيًــا . أو غــانيًــا بالقنوع

* * *

وكلمـــا نادتيـــه ناســـيـــا :
بيـــجـــو ! ولم أبصـــر به آتيـــا
مـداعـبًـا مـبتــهـجـا صـاغـيا . . .
قـــد أَصـــبح البـــيت إذن خـــاويا
لا من صـدى فـيـه ولا من سـمـيع

* * *

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
حـــســبنى ذاكِــرَهُ مــا حــيــيت
لـو جـاءنى نسـيـانه مـا رضـيـت
بيـجـو مُـعَـزِّىٌّ إذ مـا أسـيتْ [1]
بيـــجـــو مناجِىٌّ الأَمِين الوديع

* * *

بيـجـو الذى أَسـمع قـبل الصـبـاح
بيـــجـــو الذى أرقب عند الرواح
بيـجـو الذى يزعـجنى بالصـيـاح
لو نبـحـــةٌ منه ، وأَين النبـــاح ؟
ضـيـعت فـيـهـا اليوم مـا لا يَضـيع

* * *

خطوته . . يا برحــهـــا من أَلَـم
يخــــدشُ بابى وهو ذاوى القــــدم

---

(1) أسيت : شعرت بالأسى .

مـــستنجــداً بى . ويح ذاك البَكَمْ !

بـــنــظــرة أنــطــقَ مــن كــل فــم

طول مـــــا ينظر . ! هـذا فظيع

* * *

نَمْ لا أرى النوم لعــــينى تطيب

أنتم خـــبـــيـــرون بنهش القلوب

يا آل قِطْمِــيــرَ هواكم عــجــيب [1]

غــابَ سَنا عــينيك عند الغـــروب

وتنقــضى الدنيـــا . . . ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأَفـــواج يوم الأَحـــــد

والبـــحـــر طاغ والمدى لا يُحَـــدّ

عـــيناى فى ذاك وهذا الجـــســـد

عـــيناى فى ذاك وهلذا الجـــســـد

بوشـــحـــة القلب الحـزين انفـــرد

والليل . والـنجم . وشـــعـب خليع !

* * *

أَبكيك . أبكيك وقلّ الجـــــزاء

يا واهـب الود بمحض الســـخـــاء

يكذب من قـــال طعـــام ومـــاء

لو صح هذا مـــا مَـــحَــضْتَ الوفــاء

لغـــائب عنك . وطفل رضـــيع

---

(١) قطمير هو اسم كلب أهل الكهف .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
على قبر إبراهيم	٧٤	رأى الناس	٩٣
آه من التراب	٧٥	بين هم وسأمة	٩٣
عام محمد	٧٩	الطيش والحزم	٩٤
الشهيد معاوية	٨٢	يا كتبى	٩٤
عبد القادر	٨٣	عجز أو قدرة	٩٦
هناوه		جواب جميل	٩٦
تفسير حلم	٨٦	الفقير	٩٧
صوت السود	٨٦	ويلنا	٩٧
شعر الأسود	٨٧	سيان	٩٧
القمر والظلام	٨٧	أتمنى	٩٨
صلاح الأثير	٨٨	الصرف والمزيج	٩٨
إلى المستمع العربى بلندن	٩٠	خداع النفس	٩٩
بين التعب والراحة	٩٢	كيمياء وصيرفى	٩٩
هذا هو التاريخ	٩٢	جنة الخيام	٩٩
النقد	٩٣	بيجو	١٠١
الظن	٩٣		

من مؤلفات عملاق الأدب العربي الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ - الله
٢ - إبراهيم أبو الأنبياء
٣ - مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ - عبقرية محمد ﷺ
٥ - عبقرية عمر
٦ - عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ - عبقرية خالد
٨ - حياة المسيح
٩ - ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ - عمرو بن العاص
١١ - معاوية بن أبى سفيان
١٢ - داعى السماء بلال بن رباح
١٣ - أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ - فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ - هذه الشجرة
١٦ - إبليس
١٧ - جحا الضاحك المضحك
١٨ - أبو نواس
١٩ - الإنسان فى القرآن
٢٠ - المرأة فى القرآن
٢١ - عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ - سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ - روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ - عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ - رجعة أبى العلاء
٢٦ - رجال عرفتهم
٢٧ - سارة
٢٨ - الإسلام دعوة عالمية
٢٩ - الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ - مايقال عن الإسلام
٣١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ - التفكير فريضة إسلامية
٣٣ - الفلسفة القرآنية
٣٤ - الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ - أثر العرب فى الحضارة الأوربية
٣٦ - الثقافة العربية
٣٧ - اللغة الشاعرة
٣٨ - شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ - أشتات مجتمعات
٤٠ - حياة قلم
٤١ - خلاصة اليومية والشذور
٤٢ - مذهب ذوى العاهات
٤٣ - لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ - الشيوعية والإنسانية

٤٥ – الصهيونية العالمية
٤٦ – أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات – جزء أول
٥٤ – يوميات – جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٨ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٥٩ – أراء فى الأدب والفنون
٦٠ – بحوث فى اللغة والأدب
٦١ – خواطر فى الفن والقصة
٦٢ – دين وفن وفلسفة
٦٣ – فنون وشجون
٦٤ – قيم ومعايير
٦٥ – ديوان فى الأدب والنقد
٦٦ – عبد القلم
٦٧ – ردود وحدود



من شعر عملاق الأدب العربي
عباس محمود العقاد

١- ديوان يقظة الصباح
٢- ديوان وهج الظهيرة
٣- ديوان أشباح الأصيل
٤- ديوان وحي الأربعين
٥- ديوان هدية الكروان
٦- ديوان عابر سبيل
٧- ديوان أعاصير مغرب
٨- ديوان بعد الأعاصير
٩- ديوان عرائس وشياطين
١٠- ديوان أشجان الليل
١١- ديوان من دواوين

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع